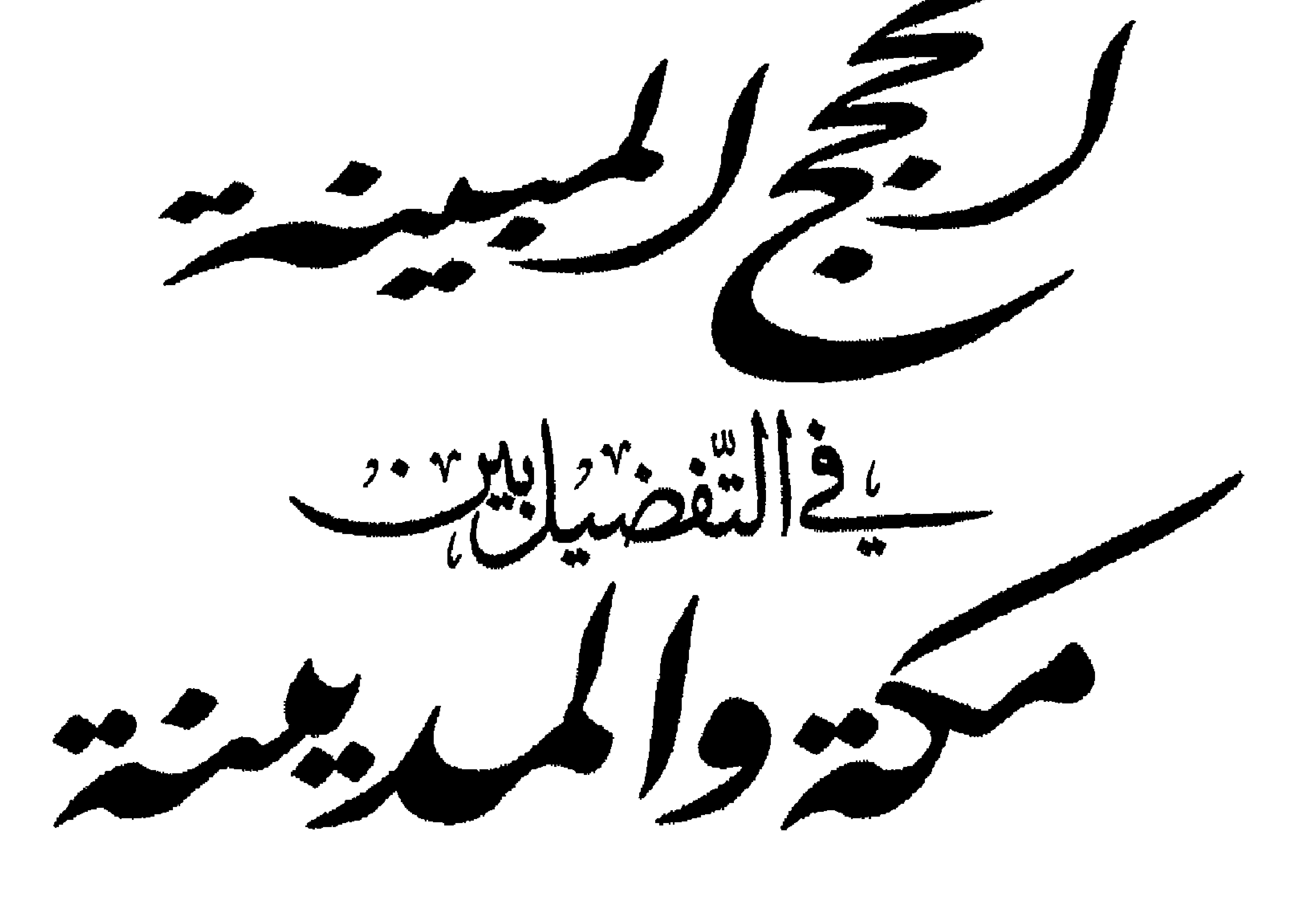

قُطوفٌ من التُراث :
الحجج المبينة
في التفضيل بين
مكة والمدينة
للإمام جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ
تحقيق
الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح
الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد
ت: ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤ موبايل: ٠١٢٣١٧٧٥١٠

قُطوفٌ من التُراث :



للإمام جلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق

الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح

الطبعة الأولى

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد
ت ٠٠٢٠٢٢٣٩١٢٣٣٥٤، موبايل ٠١٢٢٣١٧٧٥١٠

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد،
١٤٤٥ - ١٥٠٥
قطوف من التراث : الحجج المبينة
في التفضيل بين مكة والمدينة / لجلال
الدين السيوطي ؛ تحقيق أحمد عبدالوهاب
فتيح . — ط١ . — القاهرة : زهراء الشرق
، ٢٠٠٧.
.. ص؛ .. سم.
تدمك x ٣٠٤ ٣١٤ ٩٧٧
١ – مكة المكرمة – تاريخ ٩٥٣,١٢١
٢ – المدينة المنورة – تاريخ
أ – فتيح ، أحمد عبدالوهاب (محقق)
ب - العنوان

اسم الكتاب : قطوف من التراث :
الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة
اسم المؤلف : دكتور أحمد عبدالوهاب فتيح
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٧
رقم الإيداع : ٢٣٦٥٣
الترقيم الدولي : **I.S.B.N**
977 – 314 – 304 – X
اسم الناشر : زهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤ – ٠٠٢٠٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩١٣٨٥٩
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠



صورة ضوئية من مخطوطة

الإمام/جلال الدين السيوطي

(الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
قال الشيخ الإمام القدوة الهمام أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي
الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض ومنح البلاد والأمكنة
وبقاع الأرض والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
الذين هم فرض وبعضهم كبعض وبعد فقد وقع الكلام في
التفضيل بين مكة والمدينة فقلت عما رجحه أئمة مذهبنا الذي هو مذهب
مالك وقلت بتفضيل المدينة لما قام عندي من الأدلة على ذلك وكانا
أبرزه في هذه الأوراق وأسمها المسالك سميتها بالحجج المبينة في
التفضيل بين مكة والمدينة ورتبته على ثلاثة فصول الفصل الأول
في أسماء هذين البلدين فلمكة ولها أسماء أحدها مكة وهو
مأخوذ من مككت العظم إذا اجتذبت ما فيه من المخ ومككت الفصيل
ما في ضرع الناقة فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات
التي تأتيها في المواسم وقيل لأنها تمك الذنوب أي تذهبها وقيل
لقلة مائها وقيل لما كانت في بطن واد تمكك الماء في جبالها عند
نزول المطر وينجذب إليها السيول الشائع بكة على أيضا من أسمائها
ومكة بمعنى واحد فالباء بدل من الميم لأنها تبك أعناق الجبابرة
أي تكسرهم فيذلون وينضعون وقيل من التباك وهو الازدحام
لازدحام الناس فيها في الطواف وقيل مكة الحرم وبكة المسجد
خاصة وقيل مكة البلد وبكة البيت وموضع الطواف وقيل البيت

تخاصر

خاصة الثالث الأمين لتحريم القتال فيه الرابع البلد قال تعالى هذا
البلد الأمين الخامس البلدة قال تعالى قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه
البلدة السادس البيت العتيق من الغرق وكأنه لم يظهر عليه جبار
السابع البيت الحرام لتحريم القتال فيه الثامن المأمون كذا ذكره ابن
دحية التاسع أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها وقيل لأن أهل
القرى يقصدون إليها في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا العاشر
الناشة بالنون وتشديد المعجمة من نش السمن إذا يبس من العطش
لقلة ما بها الحادي عشر الباسة بالموحدة حكاه الخطابي لأنها تبس
الملحد أي تحطمه وتهلكه الثاني عشر الناسة بالنون ومهملتين لقلة
ما بها الثالث عشر صلاح لأن فيها صلاح الخلق ويعمل فيها الأعمال
الصالحة الرابع عشر أم رحم بضم الراء لتراحم الناس وتواصلهم فيها
وذكر بعضهم أم الرحم معرفا الخامس عشر أم زحم بالزاي لازدحام
الناس فيها ذكره الرشاطي في الأنساب السادس عشر كوثى بضم
الكاف وفتح المثلثة باسم موضع منها وهي محلة بني عبد الدار ذكره
الخطيب في تاريخه السابع عشر الحاطمة لحطمها الملحد
الثامن عشر العرش بوزن بدر قاله كراع وبضمتين قاله البكري
والعريش ذكره ابن سيده لأن بيوتها عيدان تنصب وتظلل والأول
واحد العروش والثاني جمع العرش التاسع عشر القادس من التقديس
العشرون المقدسة والقادسية الحادي والعشرون إلى الثلاثين

القرية، والنبيه، وطيبة؛ حكاه الزركشي في أحكام المساجد، والحرم
والمسجد الحرام، والعطشة، وبرّة، والرتاج؛ ذكره الطبري في شرح
التنبيه، والكعبة، والرأس؛ لأنها أشرف الأرض كرأس الإنسان
وأما المدينة فأسماؤها كثيرة أيضاً، أخرج الزبير بن بكار في أخبار
المدينة عن القاسم بن محمد قال: بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين
اسماً، وأخرج عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: سمى الله المدينة
الدار، والإيمان، وقال حدثني محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن ابن
أبي يسار عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمدينة عشرة أسماء: هي المدينة، وهي طيبة، وطابة، ومسكينة،
وجابرة، ومجبورة، ويندر، ويثرب، والدار، وقال حدثني محمد بن عيسى
عن إبراهيم بن أبي الحسن قال: للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً: طيبة،
وطابة، والمسكينة، والمجبورة، والمرحومة، والعذراء، والمحبة، والمحبوبة،
والقاصمة. قال العلماء: المدينة إذا أطلقت أريد بها دار الهجرة، غلب
عليها تغليباً لشأنها، واشتقاقها من دان إذا أطاع، فالميم زائدة، أو
من مدن بالمكان إذا أقام به، فالميم أصلية، قال ابن جني: والنسبة إليها
مدني، وإلى مدينة المنصور وهي بغداد مديني، إلا الميم فيها أصلية والياء
زائدة. وأما طابة وطيبة فاشتقاقهما من الطيب، وهو الرائحة الحسنة،
قال ابن بطال: لأن من سكنها يجد في تربتها وجدرانها رائحة طيبة، أو من
الطيب بالتشديد وهو الطاهر لخلوصها من الشرك وطهارتها، أو من طيب

العيش

ان يحيينا بها اقوال وهو كتبت وانا قافل من الحج سنة تسع وستين

ثم الغز فيها الى صاحبنا امام الادباء الشهاب احمد بن المنصور التبسي الله

سلطان الادباء وتاج الاكابر الى هو هداه منهج الكرام ما اسم على اربعة وهو

مفرد علم وكم فيه من اشارة تعتبر وان تبع بالاضافة فهو خفيف من رام خلافه

ان حذفت نصفه الثاني فاسم لاكرم قبيلة او بقي خفيفا غير ثقيله وان

ضممت الى اوله اخره فاسم لمن هاجره وان حذفت ثالثه مع اوله فبعض

لا شك في لطفه ومع ذلك فان الحبيب ان يفعله فاكفه وان تبدلت ثانيه

فهو في المتلو فانبه وان صحفت جملته فاسم لما ان حل فيه حي وان يشبهه

الانسان طرفه وكره وان ابدلت من فائه الفا فهو على حاله لا يختلف وان كسرت

اوله وصحفت ثالثه فاصل كل ناد وبسيطه ومن عجب انه جمع بين شبه

المسك والكبر حوى افضل الحلو والخلو واجمع الفول والنطق وافهم

عنه غيره ولك بذا صاحب طيبه فكتب الي في الجواب ابن الله مولانا

جمال الدين والدنيا صدر التدريس والفتيا جمال الدين مكة الاسلام وجمعنا

واياه في صحبة على ساكنها افضل الصلاة والسلام وبعد فقد وقف العبد

على تنميق هذا اللغز الممتنع على غير قريحته السهل على شيمته فوجدته كان

مولانا لم يترك قولا ولا مقيلا لقائله ولا فضلة لفاضل بل جال في بديع اسلفه

من السؤال والجواب وكم فيه من الحروف بالالباب فهو فائز بالصحيح من السقيم

واجتنى الزهر وترك الهشيم فهنالك قدح العبد زند الفكر بعد اخماده

وايقظ طرف الفكرة من رقاده فوجد مولانا قد الغز في اسم جميع على ارنب

وبعضها على السماء وفيه تطهير الابصار من العمى او شدة فهو مصاد لمرة
وارض فهو مشترك بين شيء وداخره فوار بدلك ثابته راه احتاج الى شراب
العطار وربما نشا عن شراب الحمار وان الفي نصعه فهو ضد البسط والنشر
وان ابدلت الثاء ثاء مرادف الحوت فهو من شاطئ البحر وان رخم والحالة هذه
فهو اخر السلاطين ولا يزال حرمة لهم ويسر ومن اسمائها كثيبة بالمثلثة
والمطيبة والبارة وجبيبة والمحببة ذكر الكل ابن خالويه ومدخل
صدق ودار السنة ودار الهجرة وحسنة والبحرة والبحيرة ذكر
الاربعة كراع والثلاثة الأول اللغة اسم للعذرة واما تسميتها بالمكينة
فهو من السكينة او المسكنة او المسكنة والعذراء لانها لم تنل بمكروه
والقاصمة لانها قصمت الجبابرة واما تسميتها بيثرب فقيل لانه
ارض هي ناحية وقيل اسم لها بيثرب بن وائل من بني عارم بن سام
ابن نوح عليه السلام لانه اول من نزلها فسميت به لانه اسم في القرآن
حكاية عن قول المنافقين وورد في الصحيح النهي عن تسميتها به لانه
من التثريب وهو الفساد او من التثريب وهو التوبيخ وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكره الاسم الخبيث واخرج احمد عن البراء ابن عازب رضي
الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر
الله عز وجل هي طابة واخرج الزبير بن بكار من حديث ابن عباس مثله
الفصل الثاني في حد حرم الحرمين في السير انه الحرم
موضع واحد وطوله وما حولها ومساحته ستة عشر ميلا

مثلها وهو بريد وثلث بريد وثلث على التقريب وقال الماوردي في الأحكام وغيره هو من طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال وقيل أربعة ومن اليمن ستة وقيل سبعة عند أضاة لبن ومن الطائف من بطن نمرة من العراق على سبعة ومن الجعرانة من شعب آل عبد الله بن خالد تسعة ومن الاعشاش عشرة وقد نظموا بعضهم فقال

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رمت اتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانة

وأول من وضع حدودها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم جددها النبي صلى الله عليه وسلم أخرج البزار من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تجدد أنصاب الحرم عام الفتح وأما حرم المدينة فأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتي المدينة على لساني وأخرج الشيخان عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرم ما بين عير إلى كذا وفي رواية مسلم إلى ثور واستشكل بأن ثورا بمكة وكذا قال الحازمي صوابه إلى أحد وكذا رواه الزبير بن بكار من حديث عبد الله بن سلام وقال النووي يحتمل أن يكون ثور اسما لجبل هناك إما أحد وغيره ثم خفي اسمه وقال المحب الطبري ثور جبل بالمدينة رأيته غيرمرة

وقال المطري هو جبل صغير مدور خلف أحد يعرفه أهل المدينة
خلفا عن سلف وعير لا شك فيه وكذا قال ابن تيمية رحمه الله
وأنكر بعضهم أيضا عيرا وثورا بالمدينة قال وكذا قال ابن السيد
وغيره من أهل اللغة إن عيرا جبل مشهور بقرب المدينة وفي
الحديث أحد على ترعة من ترع الجنة وعير على ترعة من ترع النار
أخرجه الزبير من حديث ابن ليلى الماري قال أبو عوانة في مسنده
قال مالك جملة حرم المدينة بريد في بريد فليتنبه وأخرج الزبير
حدثني محمد بن الحسن عن نصر بن مزاحم عن عيسى بن الفضل
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم المدينة
بريدا بريدا وشمالا في عرض مثل ذلك وجعل ما بين الحرمين
حجة لأهله لمن استقبله قبل الفتح وإذا بيان المذكورين هما
الحرمان **الفصل الثالث** في التفضيل بينهما لا خلاف أنهما
أفضل الأرض ثم ذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى أن
مكة أفضل من المدينة قال النووي في شرح المهذب وبه قال
علماء مكة والكوفة وابن وهب وابن حبيب المالكيان وجمهور
العلماء قال العبدري هو قول أكثر الفقهاء وهو أصح
الروايتين عن أحمد قال ابن حزم وذهب إليه من الصحابة جابر
وابن عمر وأبو هريرة وابن الزبير وعبد الله بن عدي وعلي
وابن مسعود وأبو الدرداء وغيرهم وذهب الإمام مالك رضي

الله

رضي الله عنه وجماعة الى ان المدينة افضل وروي عن عمر رضي الله
عنه اشتراك والاولون بما اخرجه الترمذي وصححه عن عبد الله بن عدي
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على الحزورة فقال والله
انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك
ما خرجت واخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمكة ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني منك
ما سكنت غيرك حسن صحيح واخرج عن عبد الله بن الزبير رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا
افضل من الف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في
المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة هذا حديث
صحيح على شرط الشيخين وقد صححه ابن عبد البر وقال انه الحجة عند
التنازع وقد ضعفه بان حبيبا تكلم فيه لم يلتفت اليه فان ايمة
الاسلام وثقوه كاحمد وابن مهدي وغيرهما واعله بالاختلاف
على عطاء فتارة يرونه عنه عن ابن الزبير وتارة يرونه عنه
عن ابن عمر وتارة يرونه عنه عن جابر وهذا ليس بعلة لامكان
ان يكون عند عطاء عنهم والواجب الاخذ بما في خبر نقله العدول
الا لحجة وقد تابع حبيبا عليه الربيع بن صبيح فرواه عن عطاء عن
ابن الزبير وهذا الحديث الصحيح يدفع الاحتمال الذي قيل في حديث
الصحيحين الا المسجد الحرام فانه افضل منه بدون الالف او مثلها

مسنونا وقد احتجوا ايضا بان فيها المناسك والمشاعر العظام وبانها لا يدخلها احد الا محرما وبان الله حرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة واوجب استقبالها في الصلاة وبان الغسل لدخولها مسنون وبانه تعالى قال فيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبان فيها الاستلام والتقبيل الذكورين ولم يوجد في المدينة مثل ذلك وبان الوارد اليها من الانبياء والرسل اكثر وبان اقامة النبي صلى الله عليه وسلم بها اكثر وبانها حرم في الجاهلية والاسلام وبان الله تعالى حرمها يوم خلق السموات والارض كما في حديث الصحيحين واستدل الاخرون بحديث المستدرك اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني احب البقاع اليك واجيب بان اكثر اهل العلم ضعفوه وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر موضوع وقال الشيخ ابن عبد السلام ان صح فمعناه اخرجتني من احب البقاع الي في امر معاشي فاسكني احب البقاع اليك في معادي واحتجوا ايضا بحديث الطبراني المدينة خير من مكة وضعفوه بانه ضعيف كما قاله ابن عبد البر وقيل موضوع وبان الله تعالى بدا بها في قوله ادخلني مدخل صدق وبانه لا يصبر احد على لاوائها او يموت بها الا شفع له ولم يات في مكة مثل هذا وبان فيها روضة من رياض الجنة وهي ما بين القبر والمنبر وافضل الكف عن الوقف عن التفضيل لتعارض الادلة بل الذي اليه تميل النفس تفضيل المدينة واما الحديثان المذكوران

الحديث

أو لا فيه تعارض بما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة
أو أشد ونحن نقطع بإجابة دعواته صلى الله عليه وسلم فقد كانت أحب
إليه من مكة وأما قوله لخير أرض فلعله والله أعلم قبل أن يعلم
بتفضيل المدينة أو بأنها خير الأرض ما عدا المدينة كما قال ابن العربي
وهو أحد التأويلين في قوله لمن قال له يا خير البرية قال ذاك إبراهيم
وفي الصحيح أيضا اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من
البركة وقد بسطنا نصبها في حديث تضعيف الصلاة وأما كون مكة
بها المشاعر والمناسك فقد عوض الله تعالى المدينة عن الحج والعمرة
بأمر يقوم مقام الثواب عليهما وأما العمرة ففي الصحيح صلاة في مسجد
قباء كعمرة وأما الحج فروى ابن الجوزي عن أمامة مرفوعا من خرج
على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة
وأما قولهم إن الله حرم استقبالها واستدبارها في الحاجة وأوجب
استقبالها في الصلاة وبها الاستلام والتقبيل فهذا كله يتعلق
بالكعبة لا بمكة وليس الكلام فيها ولهذا لما قال عمر لابن عباس أنت
القائل مكة خير من المدينة فقال له هي حرم الله وأمنه وفيها
بيته فقال عمر لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا أخرجه الزبير بن بكار
من طريق أسلم مولى عمر عنه أي وإنما الكلام فيما عداه وأما كون الوارد
بها أكثر فكثرتهم تقابل بشرف الوارد إليها ورجعتهم نبيه النبي

توازيها جميع المراتب وقد فضل اسماعيل على اسحاق بكون النبي صلى الله عليه وسلم من ذريته مع كثرة الانبياء جدا من ولد اسحاق ولا يعرف من ذرية اسماعيل نبي غيره صلى الله عليه وسلم واما كون الاقامة صلى الله عليه وسلم بها اكثر فهذا فيه خلاف ان بعد النبوة فانه روي انه اقام بها عشرا وتوفي على راس الستين واما على الرواية الاخرى فستتان لا يزال فاما من قال فاما منه بالمدينة اشهر واعز للدين بها وبها تفرقت الشرايع واكمل الدين وفرضت غالب الفرايض واما كون الغسل لدخولها مسنون فالمدينة كذلك جزم به النووي في مناسكه واما قوله تعالى انما المشركون نجس الاية فكذلك المدينة لا يمكن من دخولها كما ثبت ذلك بالحديث الصحيح وقد نازع بعضهم بالاحتجاج بالروضة بانها قطعة منها لا كلها وقد ورد في حديث وبهذا العدد الذي اخرجه الزبير بن بكار عن سعد بن ابي وقاص مرفوعا ما بين مسجدي الى المصلى روضة من رياض الجنة واما قولهم ان الله حرمها فهذا الذي اوجب لي الوقف عن القطع بتفضيل المدينة وفيه ايضا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي حرمها بدعوته واستند الى الحديث الصحيح ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة واجاب عن مستند الاول بان معنى حرمها يوم خلق السموات والارض كتب في اللوح المحفوظ ان مكة سيحرمها ابراهيم والحفظة لذلك للملائكة ومن قال بالاول اجاب عن حديث الثاني بان

قول (في الهامش)

ابراهيم

ابن ابراهيم الحضرمي وغيرهما بعد ان كان خفيا مطمورا والقول الثاني عندي
ارجح واستدل في النووي في شرح المهذب وغيره للاول لان العدول عن
كما هو اللغة لا مقتضي له قال العدول في قوله حرمها يوم خلق السموات
والارض لان لانشيا وكلها حرامها وحلالها حرم واحتج ابن الفرع بخطابه
تعلق الغرض النفسي قال فلما ان الله هو الذي حرمها فقد ثبت في الصحيح
كما تقدم حرمة المدينة على لسان نبيه فهو صريح في ان الله حرمها وفيما اختصت
به المدينة دون مكة انها فتحت بالقرآن وفتح غيرها بالسيف قال
الايمان يارز اليها كما تارز الحية الى جحرها قال من اخاف اهلها اخافه
حسبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تنفي خبثها كما ينفي الكير
خبث الحديد قال استحب بالمجاورة بها وكراهتها بمكة قال من كان
رغبة عنها ابدلها الله خيرا منه قال انه لا يكبر اعز اهلها الا ذاب
كما يذوب الملح في الماء قال انها تاكل القرى رتبتها كما قال احمد
قال بعضهم فتحت مكة وما حولها كما ورد بذلك الاحاديث قال وليس
لمكة واحدة من هذه قال وقد عوض اهل المدينة عما كان يفعله اهل مكة
من الطواف بين كل ترويحتين في رمضان بان جعلت لهم ستا وثلاثين
ركعة لتكون صلاتهم مساوية لاهل مكة بطوافهم قال وليس ذلك لغيرهم
قال اذا تأملت والبصيرة لم تجد فضلا اعطيته مكة الا واعطيت المدينة
نظيره او اعلى منه قال استدرك محل هذا الخلاف في غير قبره صلى الله
عليه وسلم اما هو فافضل البقاع بالاجماع نبه على ذلك القاضي عياض

وغيره بل افضل من الكعبة بل رأيت بخط القاضي تاج الدين السبكي عن ابن
عقيل الحنبلي انه افضل من العرش وفي ذلك قال بعضهم

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

خاتمة في فوائد منثورة انتخبتها من كتاب اخبار المدينة
للزبير بن بكار **اخرج** بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي وغيره من مشيخة
اهل المدينة قال كان ساكن المدينة في سالف الزمان قوم يقال لهم صعل
وفالج فغزاهم داود النبي عليه السلام فاخذ منهم مائة الف عذراء
قال وسلط الله عليهم الدود في اعناقهم فهلكوا وقبورهم هذه التي في السهل
والجبل **واخرج** عن زيد بن اسلم قال كان بالمدينة العماليق وكانوا في ذلك الزمان
تضار بعماية سنة ولا تسمع بجنازة **واخرج** عن عروة قال كان بنو
العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز وعتوا عتوا
كبيرا فبعث اليهم موسى عليه السلام جيشا من بني اسرائيل فقتلوهم
وابنوهم وسكنوا مكانهم فكان ذلك اول سكنى اليهود المدينة **وقال**
حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن طلحة بن خراش عن عبد
الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
قال اقبل موسى وهارون عليهما السلام حاجين فمرا بالمدينة فخافا احدا
فخشي هارون الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال يا اخي انك تموت
فقام هارون فدخل في لحده فقبض فحثى موسى عليه التراب **واخرج**

ماثورة

ثم كان

عن

عن داود بن مسكين الانصاري عن مشيخته قالوا كانت يثرب في الجاهلية
ترعى غلبة نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها ونزلت الاوس
والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها ونزلت الاعاجم على المهاجرين فغلبوهم
عليها واخرج عن ابراهيم بن عبد الله بن حارثة قال نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم فصاح كلثوم بغلام له يا نجيح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وقال حدثنا محمد بن الحسن
عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن عثمان بن عبد الرحمن بن طلحة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الانصار ان يهدموا الآطام وقال انها زينة
المدينة وقال حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن عمران عن موسى بن عقبة
عن ابن شهاب قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من قباء
فمر على بني سالم فصلى فيهم الجمعة ببني سالم وهو المسجد الذي في بطن
الوادي وكانت اول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
وقد ثبت في الحديث ان اسعد بن زرارة اقام الجمعة في المدينة قبل مقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يلغز فيقال عبادة فرضها الله
على رسوله فتاخر فعله لها وفعلها قبله جماعة من اصحابه وهي
الجمعة واخرج عن مجمع بن يزيد قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد مرتين بناه حين قدم اقل من مائة في مائة فلما فتح الله عليه خيبر
بناه وزاد فيه مثله في الدور وضرب الحجرات ما بينه وبين القبلة
واخرج عن انس قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اول ما بناه

ونزل المهاجرون على الاوس والخزرج فغلبوهم عليها صح

با وانما بناه باللبن وجعل الحجرة باربع سنين وقال حدثنا
عبد الله بن نافع بن جبير بن مطعم قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها
امامها وقال حدثنا محمد بن الحسن حدثني عبد الله عن يزيد بن عياض
عن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي
هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة فقال حدثنا محمد بن الحسن عن سليمان
ابن داود بن قيس عن ابيه انه بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع اساس المسجد
حين وضعه وجبريل قايم ينظر الى الكعبة قد كشف ما بينه وبينها وقال
حدثني محمد بن اسماعيل عن الخليل بن عبد الله الحازمي عن رجل من الانصار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فاتاه
جبريل فقال يا رسول الله ضع القبلة وانت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده
فانماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة
لا يحول دون بصره شيء فلما فرغ قال جبريل بيده فاعاد الجبال والشجر
والاشياء على حالها وصارت قبلته الى الميزاب وقال حدثنا جعفر بن
كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل مسجدي
هذا للصلاة او لذكر الله او ليتعلم خيرا او ليعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل
الله ولم يجعل ذلك لمسجد غيره قلت وهذه خصوصية على مسجد مكة
لاجل التفضيل وقال حدثني محمد بن عبد العزيز بن محمد عن موسى بن عبيدة
عن داود بن مدركة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال قال رسول الله

وصلى

صلى الله عليه وسلم انا خاتم الانبياء ومسجدي خاتم مساجد الانبياء وهو احق
المساجد ان يزار وان تركب اليه على الرواحل بعد المسجد الحرام وقال
حدثنا محمد بن اسماعيل بن المعلى عن يوسف بن طهمان عن ابي امامة بن سهل بن
حنيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج على طهر لا يريد الا الصلاة
في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة وقال حدثنا محمد بن عبد العزيز
عن ابيه عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يسمع احد النداء في مسجدي هذا ثم يخرج الا لحاجة ثم لا يرجع الا منافق
وقال حدثني محمد بن وكيع بن الجراح عن موسى بن يعقوب رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتبع غبار المسجد بجريدة وقال
حدثني محمد بن عبد العزيز بن ابي حازم عن الضحاك عن عثمان بن ابي النضر عن بسر
ابن سعيد او سليمان بن يسار شك الضحاك ان المسجد كان يرش زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وقال حدثني محمد عن ابراهيم بن قدامة عن ابيه
ان عثمان بن مظعون تفل في القبلة فاصبح مكتئبا فقالت له امرأته خولة بنت
حكيم السلمية ما لي اراك كئيبا قال لا شيء الا اني تفلت في القبلة وانا
اصلي فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلقتها فكانت
اول من خلق القبلة وقال حدثني محمد بن محمد بن اسماعيل عن ابيه انه قدم
على عمر بن الخطاب بسفط عود فلم تسع الناس فقال اجمروا به المسجد
ينتفع به المسلمون فبقيت سنة من الخلفاء الى اليوم يؤتى كل عام بسفط
عود واخرج عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابيه ان عمر بن الخطاب قال

له أتيسر أن تطوف على الناس بالمجمر وتجميرهم قال نعم وكان يجمرهم
يوم الجمعة وقال حدثني محمد عن سعد بن سعيد عن أخيه عن أبيه عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي
هذا إلى صنعاء كان مسجدي وكان أبو هريرة يقول والله لو مد هذا إلى
باب داري ما عدوت أن أصلي فيه وقال حدثني محمد عن محمد بن إسماعيل
عن ابن أبي ذئب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو مد مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة لكان منه وأخرج عن اليسع بن
المغيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجالب إلى سوقنا كالمجاهد
في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله تعالى قلت
هذه تشابه خصوصية ومن يرد فيه بإلحاد بظلم وقال حدثني محمد بن موسى
ابن شيبة عن عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك عن إسماعيل بن النهاس قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم
اجعل نصف أكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد وقال حدثني محمد
ابن حسن بن إبراهيم قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال غبار المدينة
يطفئ الجذام وحدثني محمد عن محمد بن فضالة عن محمد بن موسى بن سالم
من ولد صيفي بن أبي عامر عن جده قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوة غزاها فلما دخل المدينة أمسك بعض أصحابه على أنفه من غبارها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة
وإنها شفاء من الجذام وأخرج عن أبي هريرة مرفوعا تراب أرضنا شفاء

داريس

لمرضنا

لو جهنا باذن ربنا واصله في مسلم وأخرج عن أم سلمة رضي الله عنها انها
كانت تنعت من الوجع تراب الصعبة وقال حدثنا محمد عن محمد بن فضالة
عن ابراهيم بن ابي الجهم ان بني الحارث شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحمى فقال اين انتم عن صعيب تاخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل
عليه احدكم ويقول بسم الله تراب ارضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا باذن
ربنا فجعلوا ففعلوا فتركتهم الحمى وقال حدثني محمد بن القاسم عن غير واحد
منهم ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
رايت الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبح على بير غرس فتوضا منها
وبصق فيها واهدي له عسل فصبه فيها وغسل منها حين توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن عبد الرحمن بن هشام
عن ابن جريج ان النبي صلى الله عليه وسلم غسل من بير غرس وقال حدثني محمد
ابن عاصم بن سويد عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بير فشرب منه واخذ
منه شيئا فقال هذا البير بير غرس فصبه فيها ثم انه بصق فيها وغسل
منها حين مات صلى الله عليه وسلم وقال حدثني محمد بن الحسن عن سفيان بن
عيينة عن جعفر بن محمد عن ابيه قال غسل النبي صلى الله عليه وسلم من بير يقال
لها بير غرس وقال حدثني غير واحد منهم عبد العزيز بن ابي حازم ونوفل بن
عمارة قالوا ان كانت عائشة لتسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض
الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وما عمل علي بن ابي طالب مصراعي داره الا بالمناصع

توفيا لذلك . انتهى وكتبه علي بن العربي السقاط وفقه الله بمنه سنة ربيع الثاني ش ١٢٦٠

الحمد لله يقول كاتبه علي بن العربي المذكور البيتان اللذان ذكرهما المؤلف رضي الله عنه هذا البيت هما من قصيدة كبيرة للشيخ الإمام العارف بالله تعالى السيد عبد الله بن محمد بن موسى المنسكهي نفعنا الله ببركاته ذكرها العلامة نور الدين الشريف علي السمهودي في أخر باب من كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى وهي

دار الحبيب أحق أن تهواها ۞ وتحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممت بزورة ۞ يا ابن الكرام أحق أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة ۞ وظللت ترتع في ظلال رباها
مغنى الجمال من الخواطر والتي ۞ سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكي كتربها ۞ هيهات أين المسك من رياها
طابت فإن تبغي التطيب يافتى ۞ فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففي الخبر الصحيح مقرر ۞ أن الإله بطابة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ۞ واختارها ودعا إلى سكناها
لا كالمدينة منزلا وكفى بها ۞ شرفا حلول محمد بفناها
حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى ۞ وأجلهم قدرا وكيف تراها
كل البلاد إذا ذكرت كأحرف ۞ في اسم المدينة لا خلت معناها
حاشى مسمى القدس فهي قريبة ۞ منها ومكة أنها إياها

٧ بي وبالدار ثم لطيبة * مهما بدت يعلو الظلام سناها
جزع الحجيج بأن خير الدار درما * قد حازت ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علا * كالشمس حين زكت زكى مأواها
وبهذه كنيت من بينه طيبة * فغدت وكل الفضل في مغناها
حتى لقد خصت بروضة جنة * الله شيء فيها بها وحباها
ما بين قبر النبي ومنبر * خيرها الله رسوله وسقاها
هي عاصمة بكل من عاش * كلف شديد بأخل يهوى هواها
اني لأرجو من ربنا يجمعنا * بمظل قلبي موقع آثارها
ولقد علا أبصرت حال مودع * دارت نفسي له ونشيدها
فلكم أراكم فاقلبي جامعة * بإثر أخرى كالبيت يسواها
فسما لقد أذكى فؤادي بينكم * نارا ومحز مقلتي صباها
اركان مجلس كتاب فضيلة * بالخير اجمعه لنا مثواها
او جمعتم ذا بها فتأملوا * بركات بلغتها بها ازكاها
ان لم يغن الكثير لشهوة * ورفاهة لم يدر ما عقباها
والعيش ما يكفي وليس هو الذي * يطغي النفوس ولخسيس مناها
يا ربنا أسأل منك فضل قناعة * بيسيرها وتحببا لحماها
ورضاك عني دائما ولزومها * حتى تراني مهجتي أخراها
يا رب أعطينا نفسي سؤلها * وقبلت دعوتها بأبشرها
بجوار أوفى العالمين بذمة * وأعز من بالعرب منه بناها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله أحسن ما خلق، وبسط ما رزق، وفتح وأغلق، وأسكت وأنطق، خلق السموات فرتق، ثم فتق ما رتق، والأرضين فأطبق، والجبال فأشهق، والأشجار فأورق، والبحار فأعمق، والجنان فأحدق، والليل فأغسق، والصبح فأفلق، والرعد فأبرق، والسحاب فأودق.

أحمده سبحانه وتعالى لأنعمه وأياديه، وأدعوه دعاء الخائف وأناديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تحفظ قائلها وتحميه، وتغسله من كل دنس وتنقيه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، به يهدي الله من يشاء، ويعطيه المقام المحمود ويدنيه.

وبعد:

فالموضوع الذي بين أيدينا: هو إحدى رسائل الإمام السيوطي، العظيمة النفع، القليلة الحجم، والتي تلقي الضوء على موضوع التفضيل بين أشرف بقعتين على وجه الأرض (مكة والمدينة).

حيث الأولى (مكة) وهي موضع أول بيت وُضع للناس لعبادة الله تعالى.

والثانية (المدينة) هي مثوى أشرف خلق الله وأعزهم على الله سيدنا ورسولنا محمد ﷺ.

وقد جاءت هذه الرسالة للإمام جلال الدين السيوطي تحت عنوان:

(الحُجج المُبينة في التفضيل بين مكة والمدينة)

فمكة[١]:

هي بلد الله الحرام، سماها الله تعالى في القرآن الكريم بهذا الاسم، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾[٢].

وسماها: بكة[٣]، فقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

وسماها الله تعالى: أم القرى، فقال: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٥].

وسماها سبحانه وتعالى: البلد الأمين، في قوله عز وجل: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٦].

وإن كانت هذه الأسماء لم تطلق عليها إلا بعدما حفلت بالحركة، وزخرت بالحياة[٧].

ومكة التي نبتت فيها الدعوة هي بنت الصحراء، لأنها بقعة لا غرس فيها ولا ماء، فهي عدة سلاسل من الجبال التي تحصر هذا الوادي، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[٨].

ولموقع مكة على طريق القوافل التجارية المحاذي للبحر الأحمر – ما بين اليمن وفلسطين – كان المسافرون يحطون رحالهم فيها، للراحة أو طلب الزاد، إلا أنها ظلت على مسار مئات السنين كما هي، شأنها شأن البيئة الصحراوية بأسرها[٩].

وترجع نشأة مكة إلى عهد نبي الله إبراهيم عليه السلام، في القرن التاسع عشر قبل الميلاد – على أرجح الآراء.

ومن المعروف أن نبي الله إبراهيم، عليه السلام، هاجر بولده إسماعيل وأمه هاجر من فلسطين، وأسكنهما هذه البقعة المباركة[١٠]: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[١١].

واستجاب الله لدعوة نبيه، فتوافدت على المكان بعض القبائل العربية، وكان إبراهيم عليه السلام يعيش في الفترة ما بين (١٩٤٠ – ٧٦٥ق. م)، ورُزق بإسماعيل وهو في السادسة والثمانين من عمره، فمولده كان حوالي ١٨٥٤ق. م، ووفاته كانت ٧١٧ ق. م، فتكون حياة إسماعيل ١٣٧ عامًا، وقد شارك إسماعيل أباه إبراهيم الخليل عليهما السلام في بناء الكعبة وهو في سن الثلاثين، فيكون بناء الكعبة قد تم حوالي ١٨٢٤ ق. م[١٢].

وكان العمالقة أول من سكن مكة أيام إسماعيل عليه السلام، ثم خلفتهم قبيلة جرهم الثانية سنة ٢٠٧ ق. م، حتى قدمت خزاعة إلى مكة حوالي سنة ٢٢٥م، فأجلت جرهم، واستمرت على ولاية البيت حتى قويت قريش، فتغلب قصي – الجد الرابع لرسول الله ﷺ – على خزاعة في القرن الخامس الميلادي (حوالي ٤٤٠م)، وأجلاهم عن مكة بعد أن حكموا البيت نحوًا من ثلاثمائة – أو خمسمائة – سنة[١٣].

ولما استولى قصي على البيت، وعظم نفوذه، اجتمعت إليه السقاية[١٤]، والحجابة[١٥] والرفادة[١٦]، واللواء[١٧]، وابتنى دار الندوة[١٨]، وحاز شرف مكة.

الكعبة المشرفة:

والكعبة هي قبلة المسلمين، وتقع في وسط المسجد الحرام بمكة، وهي بناء مربع الشكل، طوله أربعة وعشرون ذراعًا[١٩] وشبر، وكان طول أرض الطواف (قديمًا) مائة ذراع وسبعة أذرع، وسمكها في السماء سبعة وعشرون ذراعًا،

والحِجْر من جهة الشام فيه يقلب الميزاب، وارتفاع الحِجْر حَقْو[٢٠] – وهـو الآن أعلى – ويسمونـه الحُطيم والطواف من ورائه[٢١].

والحجر الأسود على الركن الشرقي، عند الباب على لسان الزاوية، في مقدار رأس الإنسان، ينحني إليه من يُقبّله يسيرًا.

وقبة زمزم تقابل الباب، والطواف بينهما، وكان في القبة حوض يُسقى فيـه السَويق والسُكْر[٢٢] قديمًا – بزمزم الآن صنابير للوضوء، والاستحمام، وشـرب الماء مبردًا.

ومقام إبراهيم عليه السلام بإزاء وسط البيت الذي فيه الباب، وهو أقرب إلى البيت من زمزم، يدخل في الطواف أثناء الموسم، وعليه قبة زجاجية فيها أثر قدم إبراهيم عليه السلام[٢٣].

أما المدينة المنورة:

فهي مدينة رسول الله ﷺ، ولم يكن اسمها كذلك قبل هجرتـه صـلوات الله وسلامه عليه،بل كان لها – كما قال ياقوت الحموي – تسعة وعشرون اسمًا[٢٤].

وقد كان طول المدينة المنورة ضعف عرضها، أما مساحتها فكانت في مقدار نصف مكة[٢٥].

وهي حَرّة سبخة الأرض، ولها نخيل كثير ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسـقى من الآبار عليها العبيد.

وللمدينة سور، وبقيع الغرقد خارج المدينة من شرقيها، وقباء خارج المدينة على نحو ميلين[٢٦] مما يلي القبلة، وهي شبيهة بالقرية.

وأُحُد جبل في شمال المدينة، وهو أقرب الجبـال إليهـا مقـدار فرسـخين، وبقربها مزارع فيها نخيل وضِياع لأهل المدينة.

ووادي العقيق فيما بينها وبين الفُرع، والفُرع من المدينة على أربعة أيام[٢٧]

في جنوبيها، غير أن أكثر هذه الضياع كان خرابًا، وكذلك كان حول المدينة ديار أكثرها خراب[٢٨].

وأعظم آبار تلك الناحية آبار العقيق[٢٩]، وبئر أريس[٣٠].

ومن خصائص المدينة المنورة: أنها طيبة الريح، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها، وتمرها الصيحاني لا يوجد في بلد من البلاد مثله ولا حب اللبان الذي يُحمل من المدينة إلى سائر البلدان.

وكان أول من زرع المدينة، اتخذ بها النخل، وعمر بها الدور والآطام، واتخذ بها الضياع: العماليق، وكان ملك الحجاز الأرقم بن أبي الأرقم[٣١].

أما عناصر السكان بالمدينة: فقد كان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قِبَل مَلِكها يُحيى خراجها، وكانت قريظة والنضير ملوكًا، حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج من الأنصار[٣٢].

وكان الأوس والخزرج – قديمًا – من أهل اليمن، وقد جاءوا من اليمن إلى يثرب بعد تهدم سد مأرب، فتفرقوا في البلاد، فنزلت طوائف منهم بالحجاز – ومنهم خزاعة الذين نزلوا ظاهر مكة وانتزعوها من جدهم، ونزلت طوائف أخرى يثرب، فكانوا أول من سكنها من العرب[٣٣].

وكان للمدينة سور، والمسجد في نحو وسطها؛ وقبر النبي ﷺ في شرقي المسجد، وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلا فرجة، وهو مسدود لا باب له، وفيه: قبر النبي ﷺ، وقبر أبي بكر، وقبر عمر، والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ قد غشي بمنبر آخر.

والروضة الشريفة أمام المنبر، بينه وبين القبر الشريف، ومصلى النبي ﷺ الذي كان يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب.

وكان النبي ﷺ قد أخذ في بناء مساكن إلى جوار المسجد النبوي بعد إتمام

بنائه، فبنى حجرتين: إحداهما لزوجه سودة بنت زمعة، والأخرى لعروسه عائشة بنت أبي بكر الصديق – وكان قد عقد عليها بمكة قبل الهجرة بسنتين، فدخل بالأولى بمكة، ودخل بالثانية بالمدينة بعد هجرته بنحو سبعة أشهر(٣٤).

ثم جعل ﷺ يزيد في مساكنه شيئًا فشيئًا، كلما اتخذ زوجة بنى لها بيتًا، حتى صارت بيوته تسعة(٣٥)، فكان بعضها في الجهة الجنوبية من المسجد، وبعضها في الجهة الشرقية منه، وكان يفصل بينه وبينها طريق عرضه خمسة أذرع.

وكانت مساكنه ﷺ في غاية التواضع والتقشف: محيطها الخارجي من اللبن، وسقفها من جذوع النخل وجريده، وقواطعها الداخلية من الجريد المكسو بالطين، ومن المسوح الصوفية(٣٦).

سمو منزلة الحرمين الشريفين:

وقد ورد في سمو منزلة الحرمين الشريفين أحاديث جمة، منها:

ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»(٣٧).

وعنه ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا، خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»(٣٨).

وفي شرف مكة المكرمة والمدينة المنورة:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يعني المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ يعني مكة ﴿ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾(٣٩).

وعن أنس، ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «المدينة حرمٌ من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحدث فيها حدث، من أحدث حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٤٠).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «حُرّم ما بين لابتي المدينة[٤١] على لساني»[٤٢].

وعن علي ﷺ، قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: «المدينة حرمٌ ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل[٤٣]؛ ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدلٌ؛ ومن تولى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل»[٤٤].

وقد اشتمل ذكر المدينة على ستة وعشرين حديثًا، المعلق منها أربعة، والمكرر منها فيه وفيما مضى تسعة، والخالص سبعة عشر حديثًا، وافقه مسلم على تخريجها، سوى حديث واحد.

وسنشير إلى تلك الأحاديث عند تحقيقنا لنص الإمام السيوطي في موضوعنا، إن شاء الله تعالى، كلٌ في موضعه من التحقيق.

الإمام السيوطي[٤٥] (٨٤٩ – ٩١١هـ = ١٤٤٥ – ١٥٠٥م)

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي (جلال الدين).

كان جده الأعلى (همّام) من أهل الحقيقة، ومن مشايخ الطرق، ومن دونه كان أهل الوجاهة والرياسة.

وفي كتاب (المنح البادية): أنه كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب.

مولده:

ولد – رحمه الله تعالى – ليلة الأحد، مستهل رجب، سنة تسع وأربعين وثمانمائة من هجرة المصطفى ﷺ.

نشأته ودروسه:

نشأ – رحمه الله – يتيمًا (مات والده وعمره خمس سنوات)، وحفظ القرآن الكريم وعمره دون الثماني سنوات، ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك.

وشرع في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين وثمانمائة، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين الشارمساحي.

وأجيز بتدريس العربية في مستهل سنة ست وأربعين، وقد ألّف في هذه السنة، فكان أول شيء ألفه (شرح الاستعاذة والبسملة).

وشرع بالتأليف سنة ست وستين، فبلغت مؤلفاته ما يزيد عن الستمائة كتاب وأجيز بالإفتاء والتدريس سنة ست وسبعين.

رحلاته العلمية:

سافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور.

وظل طوال حياته مشغوفًا بالدرس، مشتغلاً بالعلم، يتلقاه من شيوخه، أو يبذله لتلاميذه، أو يذيعه فتيا، أو يحرره في الكتب والأسفار.

وكان الأغنياء والأمراء يزورونه أينما حل، ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها، وطلبه السلطان مرارًا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردّها، وبقى على ذلك إلى أن توفى.

عزلته:

وحينما تقدم به العمر، وأحس من نفسه بالضعف، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس، على نيل القاهرة، واعتزل الناس، وتجرد للعبادة والتصنيف، وألف كتابه (التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس).

وكان رحمه الله، في حياته الخاصة، على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين، عفيفًا، كريم النفس.

مشايخه:

أما مشايخه في الرواية سماعًا وإجازة فكثير:

يقول السيوطي: (ولم أكثر من سماع الرواية، لاشتغالي بما هو أهم، وهو قراءة الدراية).

وكانت عدة أساتذته نحوًا من مائة وخمسين، من أشهرهم:

- شيخ الإسلام (علم الدين البلقيني).

- وشيخ الإسلام (شرف الدين المناوي).
- والإمام العلامة (تقي الدين الشبلي الحنفي).
- والشيخ العلامة (محي الدين الكافيجي).
- والشيخ (سيف الدين الحنفي).

وغيرهم الكثيرون.

مؤلفات السيوطي:

أما كتبه: فقد أحصى السيوطي - نفسه- منها نحوًا من ثلثمائة في التفسير وتعلقاته، والقراءات، والحديث وتعلقاته، وفن العربية وتعلقاته، وفن الأصول والبيان والتصوف، وفن التاريخ والأدب، والأجزاء المفردة ما بين كبير في مجلد أو مجلدات، وصغير في كراريس أو أوراق (كالكتاب الذي بين أيدينا الآن).

وذكر تلميذه الداوادي: أنها قد أنافت على خمسمائة مؤلف.

وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث سنة ٩١١هـ): أنها بلغت ستمائة مؤلف.

نذكر منها:

* الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة.
* الإتقان في علوم القرآن.
* الأذكار فيما عقده الشعراء من الآثار.
* إسعاف المبطأ في رجال الموطأ.
* الأشباه والنظائر (في العربية).
* الأشباه والنظائر (في فروع الشافعية).
* الاقتراح (في أصول النحو).
* الإكليل في استنباط التنزيل.

* إنباه الأذكياء لحياة الأنبياء.
* تاريخ أسيوط (وكان أبوه من سكانها).
* تاريخ الخلفاء.
* تحفة المجالس.
* نزهة المجالس.
* تحفة الناسك.
* تدريب الراوي.
* ترجمان القرآن.
* تفسير الجلالين.
* حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.
* درّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة.
* الدراري في أبناء السراري.
* ديوان الحيوان (اختصره من حياة الحيوان للدميري وقد ترجم إلى اللاتينية).
* السبل الجلية في الآباء العلية.
* الشماريخ في علم التاريخ (رسالة).
* طبقات الحفاظ.
* طبقات المفسرين.
* عقود الجمان في المعاني والبيان.
* قطف الثمر في موافقات عمر.
* لب اللباب في تحرير الأنساب.
* خزائن الكتب.
* تنوير الحلك في رؤية النبي والملَك.
* الآية الكبرى في شرح قصة الإسرى.

* الدرج المنيفة في الآباء الشريفة.
* المحاضرات والمحاورات.
* لب اللباب في تحرير الأنساب.
* تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء.
* مناقب أبي حنيفة.
* مناقب مالك.
* برد الأكباد عند فقد الأولاد.
* المنجم في المعجم (ترجم به أشياخه).
* الجلساء في أشعار النساء.
* مسالك الحنفا في والدي المصطفى.
* الوسائل إلى معرفة الأوائل.

وغير ذلك الكثير والكثير.

هذا الكتاب:

يتناول هذا الكتاب موضوع (التفضيل بين مكة والمدينة) في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة:

ففيها يشير الإمام السيوطي إلى سمة هذا الكتاب، وقيامه على أساس التفضيل بين مكة والمدينة في المذاهب المتعددة، ثم أخبر أنه سيقيم الأدلة على تفضيل ما يكون موضع التفضيل في فصول الكتاب الثلاثة.

الفصل الأول:

وجاء تحت عنوان (من أسماء هذين البلدين): فأشار إلى كل اسم من أسماء (مكة) ثم إلى كل اسم من أسماء (المدينة)، شارحًا معناه ومغزاه.

الفصل الثاني:

وجاء تحت عنوان (في حد هذين الحرمين):

فألقى الضوء على ما أخبر به أئمة المذاهب وعلماؤها عن حرم حد كل منهما.

الفصل الثالث:

وجاء تحت عنوان (في التفضيل بينهما):

فأورد السيوطي ما أخرجه أئمة المذاهب في هذا الشأن، ثم ألقى الضوء على ما اختاره من حججهم وأدلتهم، فأيد بعضها وردَّ البعض الآخر، مبينًا سبيل كلٍّ في التأييد أو النقص.

وجاءت الخاتمة:

لتلقي الضوء على عدة فوائد منثورة عن أخبار المدينة، وعن نور وبركة ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

خطوات التحقيق:

(١) استخرجت الآيات القرآنية الكريمة، فكتبت اسم السورة ورقم الآية.

(٢) قمت بضبط النص: (بالاستعانة بأصل مخطوط، تم تصويره ونسخه من محفوظات المكتبة المركزية بجامعة القاهرة، تحت رقم ٨٤١٢/ت، وكتبه بخط اليد: على بن المعمر بن السقاط في سنة ١٠٦٥هـ).

(٣) كتبت مقدمة التحقيق، وتعمدت الإطالة في التعريف بكل من مكة والمدينة على حدة، مبينًا تاريخ كل منهما من حيث المكان والمكانة، واشتمال كل منهما على ما أوجب سموهما وشرفهما، حيث البيت الحرام في مكة، والمثوى الشريف في المدينة.

وكان ذلك ضروريًّا، حيث لم يشر النص المخطوط إلى أي من ذلك من قريب أو بعيد، إنما اقتصر النص على التفضيل وحسب، فجعلت النص المخطوط بمثابة الخاتمة والبيان، للمفاضلة فيما سبق التعريف به، من المكانين

الشريفين (مكة المكرمة) و (المدينة المنورة)، كمقدمة تليها نتائج، بهدف اكتمال الموضوع وجلائه.

(٣) عقدت ترجمة وافية للإمام السيوطي، تعطي القارئ ثقة في مصداقية صاحب النص، وقيمته الشخصية والعلمية العالية، بجانب مكانته بين أهل زمانه، ومكانة النص بين الكتابات القديمة والحديثة في موضوعه.

(٤) شرحت المفردات الغريبة، وبينت قصد المؤلف في معظم التعبيرات الغامضة.

(٥) قمت بالتعليق على ما يوجب التعليق، لإفادة القارئ، وإضافة ما يمكن أن يزيد من معارفه إزاء ما يجرى الحديث عنه، أو عن أشباهه، بالاستعانة بما ظهرت الحاجة إليه من مصادر ومراجع.

(٦) أعطيت عناية خاصة للتعريف بالبلدان والأماكن وبعض الأعلام الواردة بالنص لاكتمال الفائدة.

وأخيرًا (لا آخرًا): فلست أدعي أنني قد بلغت درجة الكمال في إخراج هذا العمل بالصورة التي هو عليها الآن، فالكمال لله وحده، وقد بذلت ما وسعني الجهد، ابتغاء مرضاة الله تعالى، لإخراج هذا الكتيب العظيم المحتوى، والكبير القيمة، لتعلقه ببيت الله الحرام، ورسوله محمد ﷺ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. صدق الله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الوهاب فتيح

مقدمة المُصنّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الشيخ الإمام القدوة الهمام أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي:

الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض، حتى في البلاد والأمكنة وبقاع الأرض، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الذين حبهم فرض، وبغضهم كفر ورفض.

وبعد:

فقد وقع الكلام في التفضيل بين مكة والمدينة، فملت عما رجحه أئمة مذهبنا(٤٦) إلى مذهب الإمام مالك، وقلت: بتفضيل المدينة، لما قام عندي من الأدلة على ذلك.

وها هنا أبرزه في هذه الأوراق، واضح المسالك، والمسمى بـ

(الحُجج المُبينة في التفضيل بين مكة والمدينة)

ورتبته على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

مِنْ أسماء هَذَيْن البَلدَيْن

أسماء مكة

ولها ثلاثون اسمًا:

أحدها: مكة[٤٧]:

وهو مأخوذ من تمككْتُ العظْم[٤٨] إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكّك الفصيل[٤٩] ما في ضرع الناقة، كأنها تجتذب إلى نفسها ما جاء إليها من الأقوات التي تأتيها في المواسم.

وقيل: إنما تمك الذنوب، أي تذهبها.

وقيل: لقلة مائها.

وقيل: لما كانت في بطن وادٍ يتمكك الماء[٥٠] في جبالها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول[٥١].

الثاني: بكة[٥٢]:

على الأصح من أنها ومكة بمعنى واحد، فالباء بدل الميم.

أو كأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تكسرهم، فيذلون لها ويخضعون.

وقيل: إنها من التباكّ، وهو الازدحام، لازدحام الناس فيها من الطواف.

وقيل: مكة الحرم، وبكة المسجد خاصة.

وقيل: مكة البلد، وبكة البيت وموضع الطواف.

وقيل: البيت خاصة.

* **الثالث: الآمن[٥٣]:**

لتحريم القتال فيه.

* **الرابع: البلد:**

قال تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٥٤].

* **الخامس: البلدة:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾[٥٥].

* **السادس: البيت العتيق[٥٦]:**

من العتق، أو كأنه لم يظهر عليه جبار.

* **السابع: البيت الحرام[٥٧]:**

لتحريم القتال فيه.

* **الثامن: المأمون:**

(كذا ذكره ابن دحية).

* **التاسع: أم القرى[٥٨]:**

كأن الأرض دحيت[٥٩] من تحتها.

وقيل: كان أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجًّا واعتمارًا وجوارًا.

* **العاشر: النّانسة[٦٠]:**

بالنون وتشديد المهملة، من نسّ الشيء إذا يبس من العطش، لقلة مائها.

* **الحادي عشر: الباسّة**[٦١]:

بالموحدة (حكاه الخطابي) كأنها تبسّ الملحد، أي تحطمه وتهلكه.

* **الثاني عشر: النسّاسة**[٦٢].

بالنون ومهملتين، لقلة مائها.

* **الثالث عشر: صلاح:**

لأن فيها صلاح الخلق، أو يُعمل فيها الأعمال الصالحة.

* **الرابع عشر: أم رُحم:**

بضم الراء، لتراحم الناس وتواصلهم فيها، وذكرها بعضهم (أم الرّحم) معربًا.

* **الخامس عشر: أم زحم:**

بالزاي، من ازدحام الناس فيها (ذكره الرشاطي[٦٣] في الأنساب).

* **السادس عشر: كُوثى**[٦٤]:

بضم الكاف وفتح المثلثة، باسم موضع فيها، وهي محلة بني عبد الدار (ذكره الخطيب[٦٥] في تاريخه).

* **السابع عشر: الحاطمة**[٦٦]:

لحطمها الملحد.

* **الثامن عشر: العرْش**[٦٧]:

بوزن نزْر (قاله كراع).

وبضمتين[٦٨] (قاله البكري[٦٩]).

والعريش[٧٠] (ذكره ابن سيده) لأن أبياتها عيدان تذهب وتَظل.

والأول: واحد العُروش.

والثاني: جمع العرْش.

* **التاسع عشر: القادس.**

من التقديس.

* **العشرون: المقدسة، والقادسة.**

* **الحادي والعشرون إلى الثلاثين:**

- القرية، والثنية[٧١]، وطيبة (حكاه الزركشي في أحكام المساجد).
- والحرم[٧٢]، والمسجد الحرام[٧٣].
- والعَطِشة، وبرة[٧٤]، والرتاج[٧٥] (ذكره الطبري[٧٦] في شرح التنبيه).
- والكعبة[٧٧].
- والرأس: لأنها أشرف الأرض، كرأس الإنسان.

أسماء المدينة[٧٨]

وأما المدينة فأسماؤها كثيرة أيضًا:

أخرج الزبير بن بكار[٧٩] (في أخبار المدينة): عن القاسم بن محمد، قال: بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسمًا.

وأخرج عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: سمى الله المدينة: الدار والإيمان[٨٠].

وقال: حدثني محمد بن الحسن، عن عبد العزيز بن محمد، عن أيوب بن دينار، عن زيد بن أسلم ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «للمدينة عشرة أسماء: فهي المدينة، وهي طيبة[٨١]، وطابة[٨٢]، ومسكينة[٨٣]، وجابرة[٨٤]، ومجبورة[٨٥]، ونَدّ[٨٦]، ويثرب[٨٧]، والدار[٨٨]».

وقال: حدثني محمد بن حسن[٨٩]، عن إبراهيم بن أبي الحسن، قال: للمدينة في التوراة أحد عشر اسمًا: طيبة، وطابة، والمسكينة، والمجبورة، والمرحومة، والعذراء[٩٠]، والمُحبّة، والمحبوبة، والفاطمة[٩١].

قال العلماء: إذا أُطلقت أريد بها دار الهجرة، غلب عليها تعظيمًا لشأنها.

* قال ابن دحية: والنسب مُدَيْنيّ، وإلى مدينة المنصور- وهي بغداد[٩٢] – مدنيّ (الميم فيها أصلية والياء زائدة).
* وأما طابة وطيبة: فاشتقاقهما من الطيب، وهي الرائحة الحسنة.

قال ابن بكار: من سكنها يجد في تربتها وجدرانها رائحة طيبة.

أو من الطّيب بالتشديد، وهو الطاهر، لخلوصها من الشرك وطهارتها، أو من طيب العيش.

(بها أقوال).

* وقد كتبْت[٩٣] وأنا قافل من الحج سنة تسع وستين، ملغزًا فيها إلى صاحبنا إمام الأدباء الشهاب أحمد بن المنصور:

(ألبس الله سلطان الأدباء تاج الإكرام، وهداه منهج الكرام: ما اسمٌ على أربعة، وهو مفرد علم، كم فيه من إشارة تقهره، ارتفع بالإضافة، وخفض من رام خلافه.

إن حذفت نصفه الثاني فاسم الأكرم قيل، أو فعل خفيف غير ثقيل.

وإن ضممت إلى أوله آخره فاسم لمن هاجر.

وإن جمعت ثالثه مع أوله بفعل باشرك في لطفه، ومع ذلك يأبى الحبيب أن يفعله بأكفّه.

وإن تُشدد ثانيه فالمتلو قافيه.

وإن صحفت جملته فاسم لماء، إن حل فيه حرم، وإن شبهه الإنسان لحلم وكرم.

وإن بدلت من يائه ألفًا فهو على حاله لا يختلف.

وإن كسرت أوله وجمعت ثالثه فأصل كل نذير.

ومن عجب أنه جمع بين شبه المسك والكير[٩٤].

حوى أفضل الخَلْق، والخُلُق، وأفصح القول والنّطق.

يُفصح عنه طيبةُ، ويَلَذ بصاحب طيبةَ).

* فكتب إليّ في الجواب:

(أيد الله مولانا جلال الدين والدنيا، معدن التدريس والفتيا، جمّل الله به مكة الإسلام، وجمعنا وإياه في طيبة على ساكنها أفضل السلام، وبعد:

فقد وقف العبد على هذا اللغز الممتنع على غير قريحته[٩٥]، المسهل على سجيته[٩٦]، وهو جد ذكاء مولانا، لم يترك ولا فضلة لفاضل، بل جال ببديع استقصائه بين السؤال والجواب، وصغر من الحروف باللباب[٩٧]، وجاز بالصحيح دون السقيم[٩٨]، واجتني الزهر وترك الهشيم[٩٩].

فهناك قدح العبد زند[١٠٠] الفكر بعد إخماده، وأيقظ طرق الفترة من رقاده، فوجد مولانا قد لغز في اسم جميعه على الأرض، وبعضه علا السما، وفيهَ ظهر الإبصار من العمى، وإن شُدّد فهو مهاد لمرء[١٠١]، وإن ضُمّ فهو مشترك بين شهر وآخر، وإن بدلت ثانيه راءً احتاج إلى شراب العطار، وربما نشأ عن شراب الخمّار[١٠٢]، وإن أُبدل ثالثه بمرادف الحوت فهو من شاطئ البحر، وإن رُخّم[١٠٣] والحالة هذه فهو آخر السلاطين، ولا يزال في حرمه طه ويس).

ومن أسمائها: طيّبة (بالتشديد)، والمطيّبة، والبلاط[١٠٤]، والحبيبة، والمحببة (ذكر الكل ابن خالويه[١٠٥]).

ومدخل صدق[١٠٦]، ودام السنة، ودار الهجرة، وحسنة[١٠٧]، والبحر[١٠٨]، والبحيرة[١٠٩] (ذكر الأربعة كراع، والثلاثة في اللغة اسم للقرى).

أما تسميتها بالمسكينة: فهو من السكينة أو المسكنة.

والعذراء: كأنها لم تُنل بمكروه.

والقاصمة: لأنها قصمت الجبابرة.

أما تسميتها بيثرب: فقيل: باسم أرض في ناحيته.

وقيل: اسم لها بيثرب بن وائل، من بني آرام بن سام بن نوح، عليه السلام، لأنه أول من نزلها، فسميت به؛ أو لأنه اسم في القرآن حكاية عن قول المنافقين(١١٠)، وورد في الصحيح النهي عن تسميتها به، كأنه من الثرب وهو الفساد، أو من التثريب وهو التوبيخ، وكان رسول الله ﷺ يكره الاسم الخبيث.

وأخرج أحمد عن البراء بن عازب(١١١) ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «من سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل، هي: طابة». وأخرج الزبير بن بكار من حديث ابن عباس مثله.

الفصل الثاني

في حَدّ هذَين الحَرَمَيْن

حدّ حَرم مكّة

قال ابن سراقة:

الحرم موضع واحد، وهو مكة وما حولها.

ومساحته: ستة عشر ميلاً، وهو بَريد(١١٢) وثلث في بَريد وثلث، على التقريب.

وقال الماوردي(١١٣) في الأحكام وغيره:

حده من طريق المدينة دون التنعيم(١١٤)، على ثلاثة أميال.

وقيل: أربعة.

ومن اليمن: ستة، وقيل: سبعة عند إضاءة البرق.

ومن الطائف: من بطن نَمِرة(١١٥).

والعراق: على سبعة.

ومن الجِعرانة(١١٦) في شِعْب ابن عبد ربه بن خالد: تسعة ومن جدة بمنقطع الأعشاش: عشرة.

ونظمها بعضهم فقال:

وللحرم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رُمْت إتقانه

وسبعة أميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع جعرانة

وأول من وضع حدوده: إبراهيم عليه السلام(١١٧)، ثم جددها النبي ﷺ.

أخرج البزار: من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن محمد بن الأسود بن حنيف، عن أبيه: «أن النبي ﷺ أمر أن تجرد أنصاب الحرم عام الفتح»[١١٨].

حدّ حَرَم المدينة

وأما حدّ حرم المدينة:

فأخرج البخاري: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «حُرِّم ما بين لابتي المدينة[١١٩] على لساني».

وأخرج الشيخان: عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير[١٢٠] إلى كذا».

وفي رواية مسلم: إلى ثور.

واستشكل بأن ثورًا بمكة.

وكذا قال الحازمي: «أن صوابه: «إلى أُحد».

وكذا رواه الزبير بن بكار من حديث عبد الله بن سلام.

وقال النووي: يحتمل أن يكون ثورًا اسمًا لجبل هناك، إما حدًّا أو غيره، وخفي اسمه.

وقال المحب الطبري: ثور بالمدينة، رأيته غير مرة.

وقال المطرزي: هو جبل صغير مدور خلف أحد، يعرفه أهل المدينة خلفا عن سلف، وعيرٌ شرقيّهُ.

وكذا قال ابن تيمية، رحمه الله.

وأنكر بعضهم أيضًا (عيرًا) وقال: وهْمٌ بلا خلاف:

فقال ابن سيده وغيره من أهل اللغة: إن (عيرًا) جبل مشهور بقرب المدينة، وفي الحديث: «أحد على ترعة من تُرع الجنة وعيرٌ على ترعة من تُرع النار»

أخرجه الزبير، من حديث أبي ليلى الحازمي[١٢١].

قال أبو عوانة في مستخرجه: قال مالك: جملة حرم المدينة: بَريد في بَريد[١٢٢].

قلت: وأخرج الزبير: حدثني محمد بن الحسن، عن نصر بن مزاحم، عن ميسر بن الفضل، عن جابر بن عبد الله: «أن رسول الله ﷺ حرّم المدينة، بَريدًا يمينًا وشمالاً، في عرض مثل ذلك، وجعل ما بين الحرمين هجرة لأهله لمن استجاب له قبل الفتح»[١٢٣].

وهاتان المذكورتان هما (الحرّتان) [١٢٤]، لا خلاف أنهما أفضل الأرض.

الفَصْلُ الثّالثُ

فِي التّفْضيل بينَهُمَا

ذهب الإمام الشافعي ﷺ إلى: أن مكة أفضل من المدينة.

قال النووي في شرح المهذب: وبه قال علماء مكة والكوفة وابن وهب وابن حبيب (المالكيان) وجمهور العلماء.

قال العبدري[١٢٥]: وهو قول أكثر الفقهاء، وهو أصح الروايتين عن أحمد.

قال ابن حزم: وذهب إليه من الصحابة: جابر، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الله بن عديّ، وعلي، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وغيرهم.

وذهب الإمام مالك ﷺ وجماعة: إلى أن المدينة أفضل.

ورُوِي عن عمر ﷺ.

واستدرك الأولون بما أخرجه الترمذي وصححه: عن عبد الله بن عديّ، قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحَزْورة[١٢٦]، فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أُخرجْت منكِ ما خرجت»[١٢٧].

وأخرج عن العباس، قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبكِ من بلد وأحبكِ إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

وأخرج عن عبد الله بن الزبير ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة»[١٢٨].

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وممن صححه ابن عبد البر، وقال: إنه الحجة عند التنازع.

ومن ضعفه فقال: حبيب تكلم فيه: لم يُلتفت إليه، فإن أئمة الإسلام وثقوه كأحمد وابن مهدي وغيرهما.

ومن أعلّه بالاختلاف على عطاء: بأن قومًا يروُونه عن ابن الزبير، وآخرين يروُونه عنه عن ابن عمر، وآخرين يروُونه عن جابر: فهذا ليس بعلة، لإمكان أن يكون عند عطاء عنهم.

والواجب ألا يُرفع خبر نقله العدول إلا بحجة، وقد تابع حبيبًا عليه الربيع بن صبيح، فرواه عن عطاء عن ابن الزبير.

وبهذا الحديث الصريح يُدفع الاحتمال الذي قيل في حديث الصحيحين: «إلا المسجد الحرام، فإنه أفضل منه»(١٢٩) بدون ألف، أو فهما مستويان.

واحتجّوا أيضًا: بأن المناسك والمشاعر(١٣٠) العظام لا يدخلها أحد إلا مُحْرِمًا، وبأن الله حرّم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة، وأوجب استقبالها في الصلاة، وكان الغُسل لدخولها مسنونًا، وبأنه تعالى قال فيها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(١٣١) الآية، وبأن فيها الاستلام والتقبيل للركن(١٣٢)، ولم يوجد في المدينة مثل ذلك؛ وبأن الواردين إليها من الأنبياء والرسل أكثر، وبأن إقامة النبي ﷺ بها أكثر(١٣٣)، وبها حَرَمٌ آمن في الجاهلية والإسلام، وبأن الله تعالى حرّمها يوم خلق السموات والأرض (كما في حديث الصحيحين).

واستدل الآخرون بحديث المستدرك: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي، فأسكنّي في أحب البقاع إليك».

وأُجيب: بأن أكثر أهل العلم ضعفوه:

قال ابن عبد البر: لا يختلف أهل العلم أنه منكر موضوع.

وقال الشيخ ابن عبد السلام: إن صح فمعناه: أخرجني من أحب البقاع إليّ –

في أمر معاشي – فأسكنّي في أحب البقاع إليك – في أمر معادي.

واحتجوا أيضًا بحديث الطبراني: «المدينة خير من مكة»، وهو أيضًا ضعيف (كما قاله ابن عبد البر)، وقيل: موضوع.

وبأن: الله تعالى بدأ بها في قوله: ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾[١٣٤].

وبأنه: لم يصبر أحد على لأوائها[١٣٥]، أو يموت بها، إلا شفع له، ولم يأت في مكة مثل هذا.

وبأن: بها روضة[١٣٦] من رياض الجنة، وهي ما بين القبر والمنبر.

الوقْفُ عن التّفْضيل
والرّدّ على من قال به

* وأقول: المختار الوقف عن التفضيل، لتعارض الأدلة، بل الذي تميل إليه النفس: تفضيل المدينة.
* وأما الحديثان المذكوران: فمتعارضان، بما أخرجه البخاري: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[١٣٧]، ونحن نقطع بإجابة دعوته ﷺ، فقد كانت أحب إليه من مكة.
* وأما قوله: «لخير أرض الله»: فهو مؤول إما بأنه قبل أن يعلم بتفضيل المدينة، أو بأنها خير الأرض ما عدا المدينة (كما قال ابن العربي)، وهو أحد التأويلين في قوله لما قيل له: يا خير البريّة، قال: «ذاك إبراهيم»[١٣٨].
* وفي الصحيحين أيضًا: «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيْ ما جعلت بمكة من البركة»[١٣٩].

وقد يستأنس بهذا في حديث تضعيف الصلاة[١٤٠].

* وأما كون مكة بها المشاعر والمناسك: فقد عوض الله تعالى المدينة عن الحج والعمرة بأمرين، وعن الثواب عليهما:

أما العمرة: ففي الصحيح: «صلاة في مسجد قباء كعمرة».

وأما الحج: فروى ابن الجوزي عن أمامة مرفوعًا: «من خرج على ظهر[١٤١] لا يريد إلا الصلاة في مسجدي، حتى يصلي فيه، كان بمنزلة حجة».

وأما قولهم: إن الله حرّم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة، وأوجب

استقبالها في الصلاة، وبها الاستلام والتقبيل: فهذا كله يتعلق بالكعبة لا بمكة، وليس الكلام فيها، ولهذا لما قال عمر لابن عباس: أنت القائل: (مكة خير من المدينة)؟! فقال له: (هي حرم الله وأمنه، وفيها بيته)، قال عمر: (لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئًا).

أخرجه الزبير بن بكار، عن طريق أسلم – مولى عمر – عنه، أي: وإنما الكلام فيما عداه.

وأما كون الواردين بها أكثر: فكثرتهم تقابل بشرف الوارد إليها، ورفعة مرتبته التي لا توازيها جميع المراتب، وقد فُضّل إسماعيل على إسحاق بكون النبي ﷺ من ذريته[١٤٢]، مع كثرة الأنبياء جدًّا من ولد إسحاق، ولا يُعرف من ذرية إسماعيل نبي غيره ﷺ.

* وأما كون إقامته بها أكثر: فهذا فيه خلاف – أي بعد النبوة- فإنه روي أنه أقام بها عشرًا، وتوفى على رأس الستين.
وأما على الرواية الأخرى: فشتان ما بين الإقامتين، فإقامته بالمدينة أشْهَرَ وأعزَّ للدين بها، وبها تقررت الشرائع، وأُكمل الدين وفُرضت غالب الفرائض.
* وأما كون الغُسل لدخولها مسنونًا: فالمدينة كذلك (صرح به النووي في مناسكه).
* وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[١٤٣]: فكذلك المدينة لا يُمكّن من دخولها كافر (كما ثبت ذلك بالحديث الصحيح).
وقد نازع بعضهم بالاحتجاج بالروضة بأنها منها لا كلها: وقد ورد في حديث بقدر أكبر: أخرجه الزبير بن بكار عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا: «ما بين مسجدي إلى المصلى، روضة من رياض الجنة».

* وأما قولهم: (إن الله حرّمها): فهذا الذي أوجب لي الوقف عن القطع بتفضيل المدينة.

وفيه أيضًا: أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، هو الذي حرّمها بدعوته، واستند إلى حديث الصحيحين: «إن إبراهيم حرّم مكة، وإنني حرّمت المدينة».

وأجاب عن مستند الأول: بأن معنى حرّمها يوم خلق السموات والأرض: كتب في اللوح المحفوظ أن مكة سيُحرّمها إبراهيم، وأظهر ذلك للملائكة.

ومن قال بالأول: أجاب عن الحديث الثاني بأن إبراهيم أظهر تحريمها بعد أن كان خفيًّا مهجورًا.

والقول الثاني - عندي- أرجح، وإن رجح النووي في شرح المهذب وغيره الأول، لأن العدول عن ظاهر اللفظ مقتضي له، ولا عدول في قوله: «حرّمها يوم خلق السموات والأرض» لأن الأشياء كلها حرامها وحلالها حرم، وأحل من القِدَم بخطابه تعالى القديم النفسي.

وإن قلنا: إن الله هو الذي حرمها: فقد ثبت في الصحيح - كما تقدم- «حُرّمت المدينة على لساني» فهو صريح في أن الله حرّمها(١٤٤).

خصوصية المدينة:

* ومما اختصت به المدينة دون مكة: أنها فُتحت بالقرآن(١٤٥) وفُتح غيرها بالسيف.

«وأن الإيمان يأرزُ إليها كما تأرزُ الحية إلى جُحرها»(١٤٦).

وأن من أخاف أهلها أخاف جنبيْ رسول الله ﷺ(١٤٧).

«وأنها تنفى خَبَثها كما ينفى الكير خَبَث الحديد»(١٤٨).

«واستحباب المجاورة بها، وكراهتها بمكة».

«وأنه لا يكيد أحدٌ أهلها إلا ذاب كما يذوب الملح في الماء»(١٤٩).

«وأنها تأكل القرى»[١٥٠] أي: تفتحها (كما قال أحمد).

«وبفتحها: فُتحت مكة وما حولها».

كما ورد بكل ذلك الأحاديث، وليس بمكة واحدة من هذه.

وقد عُوّض أهل المدينة عما كان يفعله أهل مكة من الطواف بين كل ترويحتين في رمضان، بأن جُعلت لهم ستا وثلاثين ركعة، لتكون صلاتهم مساوية لأهل مكة بطوافهم، وليس ذلك لغيرهم.

وإذا تأمل ذو البصيرة، لم يجد فضلاً أُعطيته مكة إلا وأُعطيت المدينة نظيره، أو أعلى منه.

واستدراك محل هذا الخلاف في غير قبره ﷺ، أما هو فأفضل البقاع بالإجماع، نبه على ذلك القاضي عياض وغيره.

بل أفضل من الكعبة.

بل رأيت بخط القاضي تاج الدين السبكي عن ابن مقبل الحنبلي: أنه أفضل من العرش[١٥١]، وفي ذلك قال بعضهم:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها كالنفس حين زكت زكى مأواها

خَاتمة

في فوائد منثورة، انتخبتها من كتاب (أخبار المدينة)، للزبير بن بكار:

المدينة قديمًا:

أخرج بسنده: عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي وغيره من مشيخة أهل المدينة، قال: ساكَن المدينة في سالف الزمان قوم يقال لهم: (صعل فالج)، فغزاهم داود النبي عليه السلام، فأخذ منهم مائة ألف عذراء.

قال: وسلط الله عليهم الدّود في أعناقهم، فهلكوا، وقبورهم هذه في السهل والجبل.

وأخرج عن زيد بن أسلم، قال: كان بالمدينة العماليق، وكان في ذلك الزمان تمضي أربعمائة سنة ولا تسمع بجنازة.

وأخرج عن عروة قال: كان العماليق قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز، وعتوا عتوًّا كبيرًا، فبعث إليهم موسى، عليه السلام، بعثًا من بني إسرائيل فقتلوهم وأفنوهم وسكنوا مكانهم، فكان ذلك أول سكنى اليهود بالمدينة.

وقال: حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن طلحة بن خراش، عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، عن جابر بن عبد الله، ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «أقبل موسى وهارون عليهما السلام حاجّين، فمرّا بالمدينة، فنزلا أُحدًا، فغشى هارون الموت، فقام موسى فحفر له، ثم قال: يا أخي! إنك تموت؛ فقام هارون فدخل لحده، فقُبض، فحثى موسى عليه التراب».

وأخرج عن داود بن مسكين الأنصاري، عن مشيخته، قالوا: كانت يثرب في الجاهلية تدعى (غلبة)، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها، ونزلت الأوس

والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها، ونزلت الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها.

رسول الله ﷺ في المدينة:

وأخرج عن إبراهيم بن حارثة، قال: نزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهرم(١٥٢)، فصاح كلثوم بغلام له: يا نُجيْح! فقال رسول الله ﷺ: «أَنْجِحْت يا أبا بكر».

وقال: حدثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن عثمان بن عبد الرحمن بن طلحة، ﷺ: أن رسول الله ﷺ نهى الأنصار أن يهدموا الآطام(١٥٣)، وقال: «إنها زينة المدينة».

أول جمعة في الإسلام:

وقال: حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد العزيز، عن موسى بن عقبة، عن ابن هشام، قال: ركب رسول الله ﷺ يوم الجمعة من قُباء(١٥٤)، فمر على بني سالم(١٥٥)، فصلى بهم الجمعة – ببني سالم– وهو المسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ (١٥٦).

قلت: وقد ثبت في الحديث: «أن أسعد بن زرارة(١٥٧) أقامها في المدينة(١٥٨)، قبل مقدم رسول الله ﷺ».

وعلى هذا يُلغز، فيقال: عبادة فرضها الله على رسوله، فتأخر فعله لها، وفعلها قبله جماعة من أصحابه، (وهي الجمعة).

الرسول ﷺ يبني مسجده:

وأخرج عن مجمع بن زيد، قال: بنى رسول الله ﷺ المسجد مرتين: بناه حين قدم أقل من مائة في مائة(١٥٩)، فلما فتح الله على رسوله ﷺ زاد فيه مثله؛ وبنى الدور، وضرب الحجرات ما بينه وبين القبلة(١٦٠).

وأخرج عن أنس، قال: بنى رسول الله ﷺ المسجد أول ما بناه بالمدينة[١٦١]، وإنما بناه باللبِن[١٦٢] بعد الهجرة بأربع سنين.

وقال: حدثنا عبد الله بن نافع بن جبير بن مطعم، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما وضعت قبلة مسجدي هذا، حتى رُفعت لي الكعبة، فوضعتها أمامها».

وقال: حدثنا محمد بن الحسن، حدثني عبد الله، عن يزيد بن عياض، عن ابن شهاب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما وضعت قبله مسجدي هذا، حتى فُرّج لي بيني وبين الكعبة».

وقال: حدثنا محمد بن الحسن، عن سليمان بن داود بن قيس، عن أبيه: أنه بلغه أن النبي ﷺ وضع أساس المسجد، حين وضعه، وجبريل قائم ينظر إلى الكعبة، قد كشف ما بينه وبينها.

وقال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن الخليل بن عبد الله الأزدي، عن رجل من الأنصار: أن رسول الله ﷺ أقام رهطًا[١٦٣] على زاويا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال: يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة؛ ثم قال بيده هكذا، فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة، لا يحول دون نظره شيء فلما فرغ، قال جبريل، عليه السلام، بيده هكذا، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها، وصارت قبلته إلى الميزاب[١٦٤].

خصوصية مسجد المدينة:

وقال: حدثنا جعفر بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل مسجدي هذا لصلاة، أو لذكر الله، أو ليتعلم خيرًا، أو ليعلّمه، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله».

ولم يحصل ذلك لمسجد غيره.

قلت: فهذه خصوصية على مسجد مكة، تدخل في التفضيل.

وقال: حدثني محمد بن عبد العزيز بن محمد، عن موسى بن عبيدة، عن داود بن مدركة، عن علي بن سلمة بن عبد الرحمن ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، وهو أحق المساجد أن يُزار، وأن يُركب إليه على الرواحل، بعد المسجد الحرام».

وقال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن المعلى، عن يوسف بن طهمان، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج على ظهر[١٦٥] لا يريد إلا الصلاة في مسجدي، حتى يصلي فيه، كان بمنزلة حجة».

وقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسمع أحد النداء في مسجدي هذا فيخرج – إلا لحاجة– ثم يرجع، إلا منافق»[١٦٦].

النبي ﷺ يشارك بنفسه الشريفة في تنظيف وتطييب مسجده:

وقال: حدثني محمد بن وكيع بن الجرام، عن موسى بن يعقوب، ﷺ: «أن النبي ﷺ اتبع غبار المسجد بجريدة».

وقال: حدثني محمد بن عبد العزيز بن أبي حازم، عن الضحاك، عن عثمان بن أبي النضر، عن ابن سعيد– أو سليمان بن يسار – شك الضحاك: «أن المسجد كان يُرشّ، زمان رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر».

وقال: حدثني محمد عن إبراهيم بن قدامة، عن أبيه: أن عمر بن مظعون تَفَل[١٦٧] في القبلة، فأصبح مكتئبًا، فقالت له امرأته خولة بنت حكيم: مالي أراك مكتئبًا؟!

قال: لا شيء، إلا أنني تفلت في القبلة وأنا أصلي.

فعمدت – امرأته– إلى القبلة فغَسلتْها، ثم عملت خُلوقًا[١٦٨] فخلّقتها، فكانت أول من خلّق القبلة.

وقال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن أبيه: أنه قدم على عمر بن الخطاب بسفط من عود[١٦٩]، فلم يسع الناس[١٧٠]، فقال عمر: أجْمروا[١٧١] به المسجد، لينتفع به المسلمون.

وبقيت سنّه الخلفاء إلى اليوم، يؤتى كل عام بسفط من عود، يحمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة، عند المنبر من خلفه، إذا كان الإمام يخطب.

وأخرج عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال له: تحسن تطوف على الناس بالمجمرة تجمرّهم؟ قال: نعم. فكان يُجمّرهم يوم الجمعة.

حدّ المسجد النبوي:

وقال: حدثني محمد، عن سعد بن سعيد، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي هريرة، ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لو بُني مسجدي هذا إلى صنعاء، كان مسجدي».

فكان أبو هريرة يقول: والله لو مُدّ هذا المسجد إلى باب داري، ما عدوت[١٧٢] أن أصلي فيه.

وقال: حدثني محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن ابن أبي ذئب، قال: قال عمر بن الخطاب، ﷺ: لو مُدّ مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحُليفة[١٧٣]، لكان منه.

بعض خُصوصيات المدينة:

وأخرج عن اليسع بن المغيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الجالب[١٧٤] إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر[١٧٥] في سوقنا كالملحد في كتاب الله تعالى».

قلت: هذه تُناظر خصوصية: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ ﴾[١٧٦].

وقال: حدثني محمد بن موسى بن شيبة، عن عمر بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن إسماعيل بن النعمان، قال: دعا رسول الله ﷺ لغَنَم كانت ترعى بالمدينة: «اللهم اجعل نسلها مثل ملْئها في غيرها من البلاد».

وقال: حدثني محمد بن حسن بن إبراهيم، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «غُبار المدينة يطفئ الجذام»[١٧٧].

وقال: حدثني محمد بن محمد بن فُضالة، عن محمد بن موسى بن صالح، عن صيفي بن أبي عامر، عن جده، قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة غزاها، فلما دخل المدينة أمسك بعض أصحابه على أنفه من ترابها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن تربتها لمؤمنة، وإنها شفاء من الجذام».

وأخرج عن أبي هريرة مرفوعًا: «تراب أرضنا شفاء لمريضنا، بإذن ربنا» وأصله في مسلم.

وأخرج عن أم سلمة، رضي الله عنها: أنها كانت تنعت من القرحة[١٧٨] تراب الضبّة»[١٧٩].

وقال: حدثنا محمد بن فضالة، عن إبراهيم بن أبي حكيم: أن بني الحارث شكوا إلى رسول الله ﷺ الحُمّى، فقال: «أين أنتم من صعيد[١٨٠]، تأخذون من ترابه، فتجعلونه في ماء، ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: باسم الله، تراب أرضنا، بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا».

ففعلوا، فتركتهم الحمّى.

بركة بئر غرْس[١٨١]:

وقال: حدثني محمد بن القاسم، عن غير واحد، منهم إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الليلة، أني أصبحت على بئر من الجنة».

فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها، وبصق فيها، وأُهدى له غُسْل فصبّه فيها، وغُسّل منها حين تُوفى رسول الله ﷺ[١٨٢].

وقال: حدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، عن ابن جريج: «أن النبي ﷺ غُسّل من بئر غرس.

وقال: حدثني محمد بن عاصم بن سويد، عن أبيه: أن النبي ﷺ لما أُتى بغُسْل شرب منه، وأخذ منها شيئًا، فقال: «هذا لبئر غرس»، فصبّه فيها.

ثم إنه بصق فيها، وغُسّل منها حين مات ﷺ.

وقال: حدثني محمد بن الحسن، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: غُسّل النبي ﷺ من بئر يقال لها: بئر غرس.

جوار رسول الله ﷺ:

وقال: حدثني غير واحد، منهم: عبد العزيز بن أبي حازم، ونوفل بن عمارة، قالوا: إن كانت عائشة لتسمع صوت الوتد يُوتد، أو يُضرب في بعض الدور المحيطة بمسجد النبي ﷺ، فترسل إليهم، لا تؤذوا رسول الله ﷺ.

وقال: ما عمل عليّ بن أبي طالب ﷺ مصراعيْ داره[١٨٣] إلا بالمناصع، توقيًا لذلك. انتهى.

وكتبه: علي بن العُمر بن السّقاط – رحمه الله تعالى– ورفع شأنه، سنة ١٠٦٥هـ.

ولله الحمد والمنة

المصادروالمراجع

أولاً: المصادر:

* القرآن الكريم.

* ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير (ت ٦٣٠هـ):

٢) أُسْد الغابة في معرفة الصحابة – الشعب – القاهرة ١٩٧٠م.

٣) التاريخ الكامل – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٧م.

* أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤٢هـ):

٤) المسند – تحقيق: أحمد محمد شاكر – دار المعارف – القاهرة ١٩٤٦م.

* الأزرقي: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي (ت ٢٢٢هـ):

٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار – طبعة وستنفلد – جونتجن ١٨٥٨م.

* الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٩٧٦هـ):

٦) الأغاني: وزارة الثقافة المصرية – القاهرة ١٩٦٨م.

* الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ):

٧) الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذي – الطبعة المصرية – القاهرة ١٣٤٠م.

* الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ١٤٥هـ):

٨) المستدرك على الصحيحين في الحديث – مطابع النصر الحديثة – الرياض ١٩٦٩م.

* ابن الحجر: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – دار الريان للتراث – القاهرة ١٤٠٧هـ.

* الخازن: محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن (ت ٧٤١هـ):
١٠) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٧٥م).
* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي (ت ٨٠٨هـ).
١١) مقدمة ابن خلدون - طبعة لجنة البيان العربي - قطر ١٣٧٨هـ.
* الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي (ت ٧٤٨هـ):
١٢) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٨٧م.
١٣) تذكرة الحفاظ - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٣٠م.
ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ١٦٨هـ):
١٤) الطبقات الكبرى - دار صادر - بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
* السهيلي: عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ):
١٥) الروض الأُنُف - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٣٨٩- ١٩٦٩م.
* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ):
١٦) تاريخ الأمم والملوك - مؤسسة عز الدين - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧) التفسير (جامع البيان في تأويل القرآن) - دار المعارف - القاهرة ١٩٥٥م.
* ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الفقيه الحافظ الأندلسي (ت ٤٦٣هـ):
١٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٦م.
* ابن القيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ):
١٩) زاد المعاد في هدي خير العباد - مؤسسة الرسالة والمنار - قطر ١٤٠٥هـ.

* ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذراع (ت ٧٤٤هـ):

٢٠) البداية والنهاية – تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح (دكتور) – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢١) مختصر التفسير – دار التراث العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

* ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ):

٢٢) سنن ابن ماجة – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥٣م.

* المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ):

٢٣) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار – مطبعة بولاق – القاهرة ١٢٧٠هـ.

* النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (٣٠٣هـ):

٢٤) سنن النسائي – بشرح السيوطي – المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٩٣٠م.

* ابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٨هـ):

٢٥) السيرة النبوية – تحقيق: مصطفى السقا وآخرين – المكتبة العلمية – بيروت (بدون تاريخ).

* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ):

٢٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٣هـ – ١٩٣٥م.

* ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ):

٢٧) معجم البلدان – دار صادر – بيروت (بدون تاريخ).

* اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي (المعروف بابن واضح الإخباري) ت ٢٩٣هـ:

٢٨) تاريخ اليعقوبي – مطبعة المغربي – النجف – العراق ١٣٥٨هـ – ١٩٤٠م.

ثانيًا: المراجع:

* أحمد عبد الوهاب فتيح (دكتور):

٢٩) نساء النبي ﷺ (بدون ناشر) – القاهرة ٢٠٠١م.

* جواد علي (دكتور):

٣٠) تاريخ العرب قبل الإسلام – المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

* خير الدين الزركلي:

٣١) الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٩٠م.

* مجمع اللغة العربية:

٣٢) المعجم الوسيط – ط٢ – بدون تاريخ.

* عبد العزيز غنيم (دكتور):

٣٣) السيرة التحليلية – مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

* محمد أحمد حسب الله (دكتور)، ومحمد محمد عبد القادر الخطيب (دكتور):

٣٤) دراسات في تاريخ العرب والسيرة النبوية – دار الوفاء – القاهرة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

* محمد فؤاد عبد الباقي:

٣٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

ولله الأمرُ من قَبلُ ومن بعدُ

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

ولله الحمدُ والمنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة هوامش كتاب

(الحُجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة)

رقم الهامش	الموضــــوع
(١)	قال ياقوت في معجمه: سميت مكة لأنها تمك الجبارين، أي: تذهب نخوتهم، ويقال: لازدحام الناس بها، أو لأنها بين جبلين مرتفعين، أو لأنها عُبِّدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف، أو لأنها لا يفجُر أحد بها إلا مكّث عنقه – أي قطعتها – (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص١٨١).
(٢)	سورة الفتح، الآية ٢٤.
(٣)	قال ياقوت: سميت بكة لازدحام الناس بها، ويقال: مكة: اسم المدينة، وبكة: اسم البيت (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص١٨١).
(٤)	سورة آل عمران، الآية ٩٦.
(٥)	سورة الأنعام، الآية ٩٢.
(٦)	سورة التين، الآيات ١– ٣.
(٧)	عبد العزيز غنيم (دكتور) – السيرة التحليلية ص١٠.
(٨)	سورة إبراهيم – الآية ٣٧.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٩)	ابن واضح الأخباري – تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٣٥، وابن خلدون – المقدمة ص٣٠٩.
(١٠)	كانت تلك البقعة المباركة بوادي مكة، بين جبال فاران، حيث لا أنيس به ولا ونيس، وكان إسماعيل رضيعًا، ثم ذهب إبراهيم وتركهما هنالك، عن أمر الله له بذلك، ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء، فلما نفد ذلك فجر الله لهاجر زمزم، التي هي: طعام طُعم وشراب سقم؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ (ابن كثير – البداية والنهاية ج٢ ص١٨٨).
(١١)	سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
(١٢)	الطبري – تاريخ الأمم والملوك ج١ ص١٢٩، ومحمد أحمد حسب الله (دكتور)، ومحمد محمد عبد القادر الخطيب (دكتور) – دراسات في تاريخ العرب والسيرة النبوية ص٦٤.
(١٣)	انظر: ابن هشام – السيرة النبوية ج١ ص١١٧، والأزرقي – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج١ ص٨٥، وابن جرير الطبري – تاريخ الأمم والملوك ج١ ص٤٤٥، وابن كثير – البداية والنهاية ج٢ ص١٩٠، وابن خلدون – المقدمة ص٣١٠.
(١٤)	السقاية: سقاية زمزم في الموسم للحجيج.
(١٥)	الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده، فلا يدخله أحد إلا بإذنه.
(١٦)	الرفادة: طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(١٧)	اللواء: يعني في الحرب؛ لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون.
(١٨)	دار الندوة بمكة: أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لمّا تملّك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وهي أول دار بنت قريش بمكة، وانتقلت بعد موت قصي إلى ولده عبد الدار، ثم لم تزل في أيدي بنيه، حتى انتهت إلى معاوية بن أبي سفيان التي اتخذها دارًا للإمارة بمكة (انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان (مادة دار) ج٢ ص٤٢٣).
(١٩)	الذراع: ٦٤ سنتيمترًا.
(٢٠)	الحَقو: مقدار ارتفاع خاصرة الإنسان.
(٢١)	ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٤ ص٤٦٤، والمقريزي – المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج١ ص٨٣.
(٢٢)	نفس المصدر السابق. السويق: طعام يتخذ مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لأنه يسوق في الحلق؛ والسُّكْر: الخمر.
(٢٣)	الأزرقي – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج١ ص٩٧، وياقوت الحموي – معجم البلدان ج٤ ص٤٦٤.
(٢٤)	هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحببة، والمجبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكّالة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والمجنّة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحبوبة،

رقم الهامش	الموضـــــــوع
	والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصـمة، وطبابـا (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص٨٣).
(٢٥)	ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص٨٢.
(٢٦)	الميل البري = ١٦٠٩م، والبحري = ١٨٥٢م.
(٢٧)	يقدر اليوم بحوالي ٢٠ ميلاً (أي ٣٢,١٨٠ كيلو مترًا).
(٢٨)	ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص٨٣.
(٢٩)	آبار العقيق: العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السـيل فـي الأرض فأنهره ووسعه (عقيق)، وفي بلاد العرب أربعة أعقة، منها عقيـق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، وهما عقيقان: الأكبر: وهو ممـا يلي الحرّة – أحد جبلين يحيطان بالمدينة، وهما حرتان – والعقيـق الأصغر: ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهـى العرصـة (وعنـد ياقوت الحموي في ذلك كلام كثير، فـانظره بمعجـم البلـدان ج٤ ص١٣٨ وما بعدها).
(٣٠)	بئر أرِيس: بئر بالمدينة ثم بقباء مقابل مسجدها، نسبت إلى رجل مـن المدينة من اليهود اسمه (أريس)، عليها مال لعثمان بن عفان ﷺ، ومنها غُسّل رسول الله ﷺ عند موته، وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في السنة السادسة من خلافته، واجتهد فـي اسـتخراجه بكل ما وجد إليه سبيلاً فلم يوجد إلى هذه الغاية، فاسـتدلوا بعدمـه على حادث في الإسلام عظيم، وقالوا: إن عثمان لما مال عن سيرة من كان قبله كان أول ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله ﷺ مـن

رقم الهامش	الموضـــــــوع
	يده، وقد كان قبله في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمـــان رضي الله عنهم (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج١ ص٢٩٨).
(٣١)	ابن كثير – البداية والنهاية ج٢ ص١٨٤، وجواد علي (دكتـــور) – تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٢١٧.
(٣٢)	جواد علي (دكتور) – تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص١٠.
(٣٣)	ابن كثير – البداية والنهاية ج٢ ص١٤٨، والأصفهاني – الأغـــاني ج١٩ ص٩٥.
(٣٤)	ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص٨٢.
(٣٥)	انظر: أحمد عبد الوهاب فتيح (دكتور) – نساء النبي ﷺ ص٧ وما بعدها.
(٣٦)	مطبوعة وزارة الأوقاف المصرية: صور من حياة الرسول ﷺ فـــي المدينة المنورة ص٢٢.
(٣٧)	ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ٢٠ كتاب فضـــل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ج٣ ص٧٦.
(٣٨)	نفس المصدر السابق.
(٣٩)	سورة الإسراء: الآية ٨٠.
(٤٠)	ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة ج٤ ص٩٧.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٤١)	لابتي المدينة: حرّتيها، وهما حرّتان: حرة واقم شـــرقي المدينـــة، وحرة الوبْرة غربيها، وإلى حرة واقم تُنسب وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية (سنة ٣٦هـ) بقيادة مسـلم بـن عقبـة المري، والحرة أرض ذات حجارة سـود نخـرة كأنهـا أُحرقـت، والحرتان: جبلان عظيمان يحيطان بالمدينة، وقد حُفر الخندق بينهما في غزوة الأحزاب سنة ٥هـ، فكانا مع الخندق حصنًا منيعًا رد كيد قريش ومن معها من جحافل الشرك والوثنية (انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٢ ص٢٤٥ وما بعدها).
(٤٢)	ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة ج٤ ص٩٧.
(٤٣)	صَرْف ولا عَدْل: اختلف في تفسيرها: فعنـد الجمهـور: الصـرف الفريضة، والعدْل النافلة؛ وعن الأصمعي: الصرف التوبة، والعـدل الفدية؛ وعن يونس: الصرف الاكتساب، والعدل الفدية؛ وقيل: الصـرف الشفاعة، والعدل الفدية (ابن حجر – فتح الباري ج٤ ص١٠٣).
(٤٤)	ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٤ ص٩٨.
(٤٥)	نقلاً عن: السيوطي – حسن المحاضرة في أخبار مصـر والقـاهرة (المقدمة)، الزركلي – الأعلام ج٤ ص٢١٣.
(٤٦)	لعله أراد مذهب أهل السنة والجماعة، أو أنه قصد مـذهب الإمـام الشافعي، رحمه الله، لأن الإمام السيوطي كان شافعي المذهب، وكان يفتي به.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٤٧)	وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ [الفتح: ٢٤].
(٤٨)	مكّ العظم مكًّا: امتص جميع ما فيه من أدم ونخاع ومخ.
(٤٩)	تمكك الفصيل ما في ضرع أمه: استقضاه بالمص (والفصيل: ولد الناقة أو البقرة، بعد فطامه وفصله عن أمه).
(٥٠)	يتمكك الماء: يجري مسرعًا، فيتخذ مجرى السيل في شدة جريه وسيلانه.
(٥١)	أي: إلى مكة.
(٥٢)	وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. قال ابن كثير: (بكة) من أسماء مكة على المشهور، قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون بها ويخضعون عندها؛ وقيل: لأن الناس يتباكّون فيها، أي: يزدحمون، قال قتادة: إن الله بكّ به الناس جميعًا، فيصلي النساء أمام الرجال، ولا يفعل ذلك ببلد غيرها (مختصر التفسير ج١ ص٣٠١).
(٥٣)	جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧].

رقم الهامش | الموضـــــوع

قال ابن حبان: قطع الله حجتهم بهذا البيان الناصح، إذ كانوا وهم كفار بالله عُبّاد أصنام قد أمنوا في حرمهم، بحرمة البيت العتيق، والناس في غيره يتقاتلون؛ وهم مقيمون في بلد غير ذي زرع، يجيء إليهم ما يحتاجون من الأقوات، فكيف إذا آمنوا واهتدوا (محمد على الصابوني – صفوة التفاسير ج١١ ص١٠٣٧). كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

أي: جعلنا بلدهم (مكة) حرمًا مصونًا عن السلب، آمنًا أهله من القتل والسبي، والناس من حولهم يُسبون ويُقتّلون؟.

(٥٤) سورة التين، الآية ٣، وقد أقسم الله تعالى بالبلد الأمين (مكة المكرمة)، التي يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله.

(٥٥) سورة النمل، الآية ٩١. وقد أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بذلك، وأمره أن يقول: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ ، وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها.

(٥٦) وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، وقوله: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٣٣].

وفي الحديث الشريف: «إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار» أخرجه الترمذي عن عبد الله بن الزبير مرفوعًا، وكذا رواه

رقم الهامش	الموضـــــوع
	ابن جرير (نقله ابن كثير في تفسيره المختصر ج٢ ص١٤ ٥).
(٥٧)	جاء في آيتين من سورة المائدة: الآية الأولى: قوله تعـالى: ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [المائدة: ٢]. الآية الثانية: قوله عز وجل: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]. فنهى في الآية الأولى عن استحلال قتال القاصدين إلـى بيـت الله الحرام. وأخبر في الآية الثانية: أن الله تعالى قد جعل الكعبـة المشـرفة – وهي البيت المحرم – صلاحًا ومعاشًا للنـاس لقيـام أمـر ديـنهم ودنياهم، إذ هو سبب لانتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجـار، ويتوجـه إليـه الحجاج والعمار (القرطبي – التفسير ج٦ ص٣٤٦).
(٥٨)	جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢].
(٥٩)	دحيت: انبسطت واتسعت، يقال: دحـا الله الأرض، وفـي التنزيـل العزيز: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠].
(٦٠)	الناسة: العطشى.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٦١)	الباسّة: المفُتتة المـُهلكة، وفي التنزيل العزيـز: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴾ [الواقعة: ٥].
(٦٢)	النسّاسة: النسيس: غاية الجَهد.
(٦٣)	الرشاطي: عبد الله بن علي اللخمي المزلي، الحافظ النسابة (الذهبي – تذكرة الحفاظ ج٥ ص٢١٤).
(٦٤)	كُوثى: نسبة إلى كُوثى بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السـلام، وهو جد إبراهيم عليه السلام، وهو أول نـهر أُخرج بـالعراق مـن الفرات في أرض بابل، وبها مولد إبراهيم الخليل، عليـه السـلام، وبها طُرح إبراهيم في النار (انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٤ ص٤٨٧ وما بعدها).
(٦٥)	الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي البغـدادي (ت ٤٦٣هـــ) – ابـن خلكان – وفيات الأعيان ج١ ص٣٥.
(٦٦)	الحاطمة: المهلكة.
(٦٧)	العَرش: المُلْك.
(٦٨)	وبضمتين: (العُروش) جمع عرش.
(٦٩)	البكري: أبو علي الحسـن التيمـي النيسـابوري (ت ٦٥٦هـــ) السيوطي – حسن المحاضرة ج١ ص٢٥٢.
(٧٠)	العريش: ما يُستظل به.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٧١)	الثّنيّة: الطريق في الجبل.
(٧٢)	وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله عز وجـل: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص: ٥٧]، وقوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [العنكبوت: ٦٧].
(٧٣)	وردت تسمية مكة (بالمسجد الحرام) في القرآن الكريم في خمـس عشرة آية، في سورة البقرة (الآيـات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧)، وفي سورة المائدة (الآية: ٢)، وفي سورة الأنفـال (الآية: ٣٤)، وسورة التوبـة (الآيـات: ٧، ١٩، ٢٨)، وسـورة الإسراء (الآية الأولى)، وسورة الحج (الآية: ٢٥)، وسورة الفـتح (الآيتان: ٢٥، ٢٧).
(٧٤)	برّة: علم للبرّ.
(٧٥)	الرتاج – الباب العظيم.
(٧٦)	الطبري: محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ) – تاريخ الأمم والملوك (المقدمة).
(٧٧)	جاء ذلك في قوله تعـالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥].
(٧٨)	المدينة: علم على البلدة المعروفة التي هاجر إليها النبي ﷺ ودُفـن

رقم الهامش | الموضـــوع

بها، قال الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [المنافقون: ٨]، فإذا أطلقت تبادر إلى الفهم أنها المراد، وإذا أريد غيرها بلفظة المدينة فلا بد من قيد، فهي كالنجم للثريا؛ وكان اسمها قبل ذلك يثرب – كما سيأتي في موضعه من نص المؤلف – قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ويثرب اسم لموضع منها سميت كلها به، قيل: سميت بيثرب بن قانية من ولد إرم بن سام بن نوح، لأنه أول من نزلها، ثم سماها النبي ﷺ طيبة وطابة – كما سيأتي لاحقًا بإذن الله تعالى (ابن حجر – فتح الباري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة ج٤ ص٩٨).

وقد سميت (المدينة المنورة) بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، فهو صلوات الله وسلامه عليه النور الكامل والسراج المنير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦].

روى الترمذي: عن ابن ماجه، عن أنس، ﷺ، قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه الرسول ﷺ المدينة، أضاء فيها كل شيء» رواه الترمذي – السنن – ٥٠ كتاب المناقب – ١– باب فضل النبي ﷺ، وابن ماجه – السنن ج١ ص٥٢٢، والحاكم – المستدرك ج٣ ص٥٧.

(٧٩) هو الزبير بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٥٦) انظر: ابن خلكان – شذرات الذهب ج٢ ص١٠٠.

رقم الهامش	الموضـــــــوع
(٨٠)	جاء في القرآن الكريم عن أنصار المدينة (الأوس والخزرج) قوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [الحشر: ٩]. فمدح الله الأنصار، وبين فضلهم وشرفهم في هذه الآية الكريمة (القرطبي – التفسير ج١٨ ص٢٠).
(٨١)	طيبة: الزكية الطاهرة.
(٨٢)	طابة: الزكية الرائحة.
(٨٣)	المسكينة: يُسكن إليها ويستأنس بها.
(٨٤)	الجابرة: المُصلحة.
(٨٥)	المجبورة: التي صلح حالها بالإحسان إليها، وبالنور الذي عم أرجاءها، بجوار الرسول ﷺ.
(٨٦)	ندّ: كثيرة العطاء والفضل، وقيل: هو الطّيب.
(٨٧)	يثرب: سيأتي الكلام عليها عند نهاية الفصل – بإذن الله تعالى – في نص المؤلف.
(٨٨)	الدار: سماها الله تعالى الدار، في سورة الحشر الآية ٩ (كما أسلفنا).
(٨٩)	هو: أبو جعفر محمد بن الحسن العامري (ت ٢٦١هـ)، روى عنه أصحاب السنن والصحاح وغيرهم (الذهبي – تذكرة الحفاظ ج٢ ص٤٤١).

رقم الهامش	الموضـــــوع
(٩٠)	المدينة العذراء: التي لم يطأها معتدٍ، ولا نال فيها غازٍ.
(٩١)	الفاطمة: المانعة.
(٩٢)	بغداد: عاصمة العراق الآن، وفي بدء عمارتها كان أول من مصرها وجعلها مدينة: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، ثاني الخلفاء العباسيين، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطّها أخوه أبو العباس السفاح – أول الخلفاء العباسيين – قرب الكوفة، وشرع المنصور في عمارة بغداد سنة ١٤٥هـ، ونزلها سنة ١٤٩هـ (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج١ ص٤٥٦).
(٩٣)	الكلام للإمام السيوطي، رحمه الله تعالى.
(٩٤)	الكير: جهاز من جلد أو نحوه، يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها، ولعله يشير إلى حديث النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء: كحامل المسك، ونافخ الكير» إلخ الحديث الشريف.
(٩٥)	القريحة: ملَكة، يستطيع بها الإنسان ابتداء الكلام وإبداء الرأي.
(٩٦)	السجيّة: الطبيعة.
(٩٧)	اللباب: خالص كل شيء.
(٩٨)	السقيم: المريض العاجز.
(٩٩)	الهشيم: المتكسر، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ

رقم الهامش	الموضـــــوع
	ٱلرِّيَـٰحُ ﴾ [الكهف: ٤٥].
(١٠٠)	الزَّند: العود الأعلى الذي تقدح به النار، والأسفل هو الزندة.
(١٠١)	المرء: أي إنسان، ذكرًا كان أو أنثى.
(١٠٢)	شراب الخمّار: المُسْكر.
(١٠٣)	الترخيم (في النحو) هو: حذف آخر الاسم في النداء، تسهيلاً للنطق به، كأن تقول لمن اسمه (منصور): يا منص، أو تقول لمن اســمها (فاطمة): يا فاطم، مثلاً.
(١٠٤)	البلاط: المُلك.
(١٠٥)	ابن خالويه: أبو عبد الله النحوي بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ابن الجزري – طبقات القرّاء ج٢ ص١٤٠.
(١٠٦)	كما سبقت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ آمرًا نبيه ﷺ بذلك، عند بدء هجرته من مكة إلى المدينة، بصحبة أبي بكر الصديق ﷺ، إثر مؤامرة دار الندوة (ابن هشام – السيرة النبوية ج٢ ص٤٩٠).
(١٠٧)	الحسنة: الجميلة.
(١٠٨)	البحر: الماء الواسع الكثير، ويغلب في المالح.
(١٠٩)	البحيرة: مجتمع الماء، تحيط به الأرض.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(١١٠)	سبقت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٩٢].
(١١١)	البراء بن عازب: بن الحارث بن عدي بن الجشم الأنصاري (ت ٧١هـ) الذهبي – تذكرة الحفاظ ج١ ص١٧٠.
(١١٢)	البَريد: المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق، ويقدر بثلاثة أميال على التقريب.
(١١٣)	الماوردي: أبو الحسن بن الحبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ) قاضي القضاة، ومصنف كتاب الأحكام السلطانية (الزركلي – الأعلام ج٤ص٢٣٥).
(١١٤)	التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسيرف – على ستة أميال من مكة – وقيل: أربعة – وسمى بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي نعمان. وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة، وسقايا على طريق المدينة، منه يحرم المكيون بالعمرة (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٢ ص٤٩).
(١١٥)	نَمِرة: ناحية بعرفة نزل بها النبي ﷺ، وقال عبد الله بن أقرم: رأيته بالقاع من نَمِرة. وقيل: الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نَمِرة علىّ: أحَدَ عشر ميلاً. وقيل: نمرة: الجبل الذي عليه أنصاب الحرم، عن يمينك إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف، حيث ضرب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وكذلك عائشة (ياقوت

رقم الهامش	الموضـــــوع
	الحموي – معجم البلدان ج٥ ص٣٠٤).
(١١٦)	الجِعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسّم غنائم هوازن مرجعه من حنين سنة ٨هـ وأحرم فيها ﷺ وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة (ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص٩٧، وابن كثير – البداية والنهاية ج٦ ص٣٧).
(١١٧)	ابن الأثير – الكامل ج١ ص١٠٣، وهيكل – حياة محمد ص١٠٥.
(١١٨)	الأنصاب: جمع نصْب، والنّصْب: ما كان يُنصب ليعبد من دون الله. قال ابن إسحاق: عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نـزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعًا على راحلته، يستلم الركن بمحجن – عُود – في يده، فلما قضى طوافه دعا بعثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيديه ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف – استجمع – له الناس في المسجد (ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص٤١١).
	قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام – السهام – ما شأن إبراهيم والأزلام؟! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ثم أمر بتلك

رقم الهامش **الموضـــــوع**

الصور فطُمست (ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص٤١٣).

وقال الإمام أحمد: عن جابر، قال: كان في الكعبة صور، فأمر رسول الله ﷺ أن يمحوها، فبلّ عمر ثوبًا ومحاها به، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها من شيء (ابن كثير – البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٤).

وقال البخاري: عن عبد الله بن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلثمائة نصُب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق، وما يبدئ الباطل وما يعيد» (ابن حجر – فتح الباري ج٧ ص١٠٦).

وعن ابن عباس، أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا»، فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الأصنام معتبرٌ وعلْمٌ لمن يرجو الثواب أو العقابا

(ابن هشام – السيرة النبوية ج٤ ص٣١٧، والطبري – تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٩، وابن كثير البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٤، واليعقوبي – تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٦).

(١١٩) لابتي المدينة: جبليْها (الحرّتان).

(١٢٠) عير: جبل بالمدينة، وفيه خلاف:

رقم الهامش	الموضـــــوع
	فوقع عند مسلم أنه (ثور)، وقال مصعب الزبيري: ليس بالمدينة عير ولا ثور، وأثبت غيره (عيرًا) ووافقه على إنكار ثور، وقال أبوعبيد: وأهل المدينة لا يعرفون جبلاً عندهم يقال له (ثور)، وإنما ثور بمكة، ونرى أن أصل الحديث «ما بين عير إلى أحد»؛ وقال عياض: لا معنى لإنكار (عير) بالمدينة فإنه معروف.
	وقال ابن قدامة: يحتمل أن يكون المراد مقدار ما بين عير وثور، لا أنهما بعينهما في المدينة، أو سمى النبي ﷺ الجبلين بطرفي المدينة عيرًا وثورًا ارتجالاً؛ والله أعلم (ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ٢٩ كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة ج٤ ص٩٨).
(١٢١)	أفضلنا الحديث عن هذا كله في التعليق السابق (هامش١٢٠).
(١٢٢)	أي: ثلاثة أميال× ثلاثة أميال = تسعة أميال × ١٦٠٩م= ١٤,٤٨١كم².
	الحرتان: سبق الحديث عنهما.
(١٢٣)	بقيت الهجرة مستمرة إلى المدينة المنورة في حياة الرسول ﷺ حتى فتح مكة، عندئذ قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»، لكن بقيت الهجرة مشروعة حيث وجدت أسبابها: من خوف فتنة في دار الكفر، أو البدعة، إلى وجوب تجمع المسلمين في دار الإسلام، لصالح جهاد، أو عِلْم ضروري، أو جلب نفع فيه قوة للإسلام والمسلمين (سعيد حوى - الأساس في السنة وفقهها ج١ ص٣٥٥).

رقم الهامش	الموضــــــوع
	روى النسائي عن أبي يعلى بن أمية: جئــت رســول الله ﷺ بــأبي (أمية) يوم الفتح، فقلت: يا رسول الله بايع أبي على الهجرة، فقال: «أبايعهُ على الجهاد، وقد انقطعت الهجرة» النســائي – الســنن – كتاب البيعة – باب البيعة على الجهاد ج٧ ص١٤١.
	وقال ابن حجر: روى الإسماعيلي عن ابن عمر رضي الله عنهمــا بلفظ: (انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رســول الله ﷺ، ولا تنقطــع الهجرة ما قوتل الكفار) سعيد حوى – الأساس في السنة وفقههــا ج١ ص٣٥٦.
(١٢٤)	يقصد قوله: بريدًا يمينًا وشمالاً، في عرض مثل ذلك.
(١٢٥)	العبدري: أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي القرشي الأندلســي (ت ٥٢٤هـ)، من أعيان الحفاظ وفقهاء الظاهرية (الذهبي – تذكرة الحفاظ ج٥ ص١٢٧).
(١٢٦)	الحزْورة: سوق مكة، وقد دخلتْ في المسجد لما زيد فيــه، وفــي الحديث: وقف النبي ﷺ بالحزورة فقال: «يا بطحاء مكة، ما أطيبــك من بلدة، وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منــكِ مــا ســكنت غيرك» ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٢ ص٢٥٥.
(١٢٧)	ومثله: ما رواه أبو يعلى، عن ابن عباس، قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: «أما والله لأخرج منك، وإني لأعلم أنك أحب بــلاد الله إليّ، وأكرمه على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت؛ يــا بني عبد مناف، إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي، فلا تمنعوا طائفًا ببيت الله ساعة من ليل ولا نهار، ولولا أن تطغى قريش لأخبرتهــا

رقم الهامش	الموضـــــوع
	ما لها عند الله، اللهم إنك أذقت أولهم وبالاً، فأذق آخـرهم نـوالاً» الهيثمي – مجمع الزوائد ج٣ ص٢٨٣.
(١٢٨)	أورده ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ٢٠ فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ج٣ ص٧٦.
(١٢٩)	من ذلك ما أورده ابن حجر بلفظ: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الرسول، فإنما فضله عليه بمائة صلاة»، ولفظه كلفظ أبي هريرة، وفي آخره: «إلا المسجد الحرام، فإنه أفضل منه بمائة صلاة».
	واستدل بهذا الحديث على تفضيل مكة على المدينة، لأن الأمكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون العبادة فيه مرجوحة، وهو قول الجمهور (ابن حجر – فتح الباري – ٢٠ فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ج٣ ص٨١).
(١٣٠)	المناسك: جمع نسُك: وهو حق الله تعالى، والمشاعر: مشاعر الحج: مناسكه، والأعمال التي تتمه.
(١٣١)	سورة التوبة، الآية ٩.
(١٣٢)	الركن: هو الركن اليماني، من أركان الكعبة، إنما ذُكر فيما ذكره ابن قتيبة: أن رجلاً من اليمن يقال له: (أبيّ بن سالم) بناه، وأنشد لبعض أهل اليمن.
	لنا الركن من بيت الحرام وراثة بقية ما أبقى بني بن سالم
	(ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٣ ص٦٤).

رقم الهامش	الموضـــوع
(١٣٣)	أقام النبي ﷺ بمكة ثلاثة عشر عامًا بعد البعثة، وأربعون عامًا قبلها، وأقام بالمدينة عشر سنوات، ولقي ربه في السنة الحادية عشرة من هجرته الشريفة، فكانت إقامته بمكة أكثر.
(١٣٤)	سورة الإسراء، الآية ٣٠.
(١٣٥)	اللأواء: ضيق المعيشة، وشدة المرض.
(١٣٦)	الروضة: الأرض ذات الخضرة.
(١٣٧)	ومثله: قالت عائشة، رضي الله عنها: (لولا الهجرة لسكنت مكة، فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٥ ص١٨٣).
(١٣٨)	فيما رواه الإمام أحمد: عن أنس بن مالك، قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا خير البرية، فقال: «ذاك إبراهيم» (ابن كثير – البداية والنهاية ج١ ص١٧٦).
(١٣٩)	رواه ابن حجر – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة ج٤ ص١١٧.
(١٤٠)	يشير إلى حديث أبي الدرداء، رفعهُ: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة». قال النووي: ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع

رقم الهامش	الموضـــــوع

الذي كان في زمانه ﷺ دون ما زيد فيه بعده، لأن التضعيف إنما ورد في مسجده، وقد أكده بقوله هذا، بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة (انظر: ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ ص٨٠، ٨١).

(١٤١) الظهر: الركوبة.

(١٤٢) يقصد ذرية إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر البخاري نسب رسول الله ﷺ فقال: (هو ﷺ محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان).

ثم يصل نسبه ﷺ إلى إبراهيم، عليه السلام.

ويرى بعض النسابين أن بين عدنان وإبراهيم أربعين جدًّا لرسول الله ﷺ، فهو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، ثم بعد ذلك يدخل في نسب إبراهيم الذي تلمع فيه نبوات ورسالات كبرى إلى آدم عليه السلام - وإنما اتصل نسب إبراهيم بالعرب من خلال ابنه إسماعيل، حيث أسكنه وأمه بواد غير ذي زرع في مكة المكرمة، كما هو معلوم من القرآن والسنة الصحيحة (سعيد حوى - الأساس في السنة وفقهها ج١ ص١٣٨).

وروى مسلم: عن واثلة بن الأسقع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كِنَانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»

رقم الهامش	الموضـــــوع
	مسلم – السنن – ٤٣ كتاب الفضائل – أفضل نسب النبـــي ﷺ ج٤ ص١٧٨٣.
(١٤٣)	سورة التوبة، الآية ٢٨.
(١٤٤)	تحقيقًا لقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].
(١٤٥)	فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].
	دخل الإسلام المدينة المنورة على مدار ثلاث سنين قبـل الهجـرة، وكان بداية ذلك مجيء وفد من الأوس إلى مكة، يلتمسون الحلـف من قريش على قومهم من الخزرج، سـمع بهـم رسـول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فأسلم أحدهم.
	فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ؛ جاء وفد من أهل المدينة معتمرين في رجب – وكانوا ستة – فلما قدموا المدينة إلى قـومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم؛ فقدم من استطاع منهم إلى الحج وبايعوا رسـول الله ﷺ بيعـة العقبـة الأولى – على بيعة النساء – ثم عادوا، فأرسل النبي ﷺ معهم – أو بعدهم – مصعب بن عمير، ففشا الإسلام في المدينة حتى سـيطر.

رقم الهامش	الموضـــــوع
	ووافى من أسلم حوالي السبعين في موسم الحج، وكانت بيعة العقبة الثانية، ثم أمر رسول الله ﷺ من بايعه أن يختاروا له اثنى عشر نقيبًا، يكونون على أقوامهم كفلاء، وعلى إثر ذلك أمر النبي ﷺ بالهجرة.
	وبقبول أهل المدينة للإسلام من ناحية، ولنصرة رسول الله ﷺ تحقق هدفان في آن واحد: هدف النصرة من أهلها، وأن هؤلاء مسلمون (ابن هشام – السيرة النبوية ج٢ ص٤٥٤، وسعيد حوي – الأساس في السنة وفقهها ج١ ص٣١٤).
(١٤٦)	رواه ابن حجر في فتح الباري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة – ٦ باب الإيمان يأرز إلى المدينة ج٤ ص١١١.
	وقوله ﷺ: «الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» أي: أنه كما تنتشر الحية من جُحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جُحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة، لمحبته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة، لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ في مسجده، والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه (قاله ابن حجر – نفس المصدر السابق).
(١٤٧)	وفي هذا المعنى: روى النسائي من حديث السائب بن خلاد، رفعه: «من أخاف أهل المدينة ظالمًا لهم أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله» ابن حجر – فتح الباري ج٤ ص١١٣.

رقم الهامش	الموضــــــوع
(١٤٨)	أورده ابن حجر في فتح الباري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة ٢– باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس ج٤ ص١٠٤. قال عياض: وكأن هذا مختص بزمنه ﷺ، لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه.
(١٤٩)	أورده ابن حجر (نفس المصدر السابق) – ٢٩ فضائل المدينة – ٧ باب إثم من كاد أهل المدينة ج٤ ص١١٢. والمقصود: أن من أرادها في الدنيا بكيد – سوء – لا يُمْهَل، بل يذهب سلطانه عن قُرب، كما وقع لمسلم بن عقبة المري وغيره (وقعة الحرة سنة ٦٣هـ)، فإن عوجل عن قُرب، وكذلك الذي أرسله (قاله ابن حجر – نفس المصدر السابق).
(١٥٠)	أورده ابن حجر: عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».
(١٥١)	العَرْش: هكذا بالأصل، ولعل المراد: أن قبره ﷺ أفضل من العرش الدنيوي لملوك الدنيا، في المكانة والهيبة والوقار، وإنما هو كذلك على التحقيق.
(١٥٢)	كلثوم بن الهِرْم: (كذا بالأصل)، وعند ابن هشام والسهيلي والخازن وابن حجر: (كلثوم بن الهِدْم) وهو: كلثوم بن الهِدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وكان شيخًا كبيرًا، مات بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة

رقم الهامش | الموضـــــوع

بيسير، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ، ثم مات بعده أسعد بن زارة – أحد نقباء العقبة الثانية الاثنى عشر – بأيام، وكان كلثوم يكنى أبا قيس (انظر: ابن عبد البر – الاستيعاب ج١٠ ص٣١٥، السهيلي – الروض الأنف ج٣ ص١٥).

وكان ذلك عند أول وصول رسول الله ﷺ إلى قباء، مهاجرًا من مكة إلى المدينة، في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول – ويقال: لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ويقال: غير ذلك – فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى قباء، نزل على كلثوم بن الهدِم، ولكنه كان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة الأنصاري (راجع: ابن سعد – الطبقات الكبرى ج١ ص٢٣٣، وابن هشام – السيرة النبوية ج٢ ص٤٩٢، وابن القيم – زاد المعاد ج٣ ص٥٨، وابن حجر – فتح الباري ج١ ص٢٨٢).

(١٥٣) الآطام: جمع أُطُم، وهي: الحصون التي تبنى بالحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح، وفي الحديث: عن أسامة، ﷺ، قال: «أشرف النبي ﷺعلى أُطُم من آطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟! إني لأرى مواقع الفتن من خلال بيوتكم كمواقع القَطْر».

قال ابن حجر: شبه النبي ﷺ سقوط الفتن وكثرتها بسقوط القَطْر – المطر – في الكثرة والعموم، وهذا من علامات النبوة لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان (سنة ٣٥هـ)، وهلم جرًا، ولا سيما يوم الحرة (سنة ٦٣هـ)؛ والرؤية المذكورة يحتمل أن تكون بمعنى العلم، أو رؤية العير بأن تكون الفتن مُثلت له حتى رآها، كما مثلت له الجنة والنار في القبلة حتى رآهما (ابن حجر –

رقم الهامش	الموضـــــوع
	فتح الباري – ٢٩ كتاب فضائل المدينة – ٨ باب آطام المدينة ج٤ ص١١٣).
(١٥٤)	يعني قاصدًا المدينة (يثرب)، وذلك بعدما أقام ﷺ بقباء في بني عمر بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده – أول مسجد بني في الإسلام – ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة (ابن هشام – السيرة النبوية ج٢ ص٤٩٤).
(١٥٥)	بنو سالم: هم بنو سالم بن عوف، وكانت محلتهم أحد أحياء المدينة التسع، في بطن وادٍ اسمه (وادي رانوناء) (انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٣ ص١٩، عند الكلام على رانوناء).
(١٥٦)	يقصد في المدينة.
(١٥٧)	أسعد بن زراة: هو أسعد بن زراة بن عُدس بن عُبيد بن ثعلبة بن غُنم بن مالك بن النجار، أبو أمامة الأنصاري الخرجي النجاري.
	أحد نقباء العقبة الثانية الاثنا عشر، وكان قديم الإسلام، بل هو أول من أسلم من الأنصار – على الخلاف في ذلك – ويقال إنه أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة الثانية، ولم يكن في النقباء من هو أصغر منه سنًا.
	وهو أول من مات من الصحابة بعد الهجرة، وأول ميت صلى عليه النبي ﷺ في المدينة، مات في السنة الأولى، قبل بدر (سنة ٢هـ)، وكانت وفاته، رضي الله عنه ورحمه، على رأس ستة أشهر – أو تسعة أشهر

رقم الهامش	الموضـــــوع
	– من الهجرة، ومسجد رسول الله ﷺ يبنى (ابن سعد – الطبقات الكبرى ج٣ ص٦٠٨، وابن عبد البر – الاستيعاب ج١ ص٨٠).
(١٥٨)	أي صلاة الجمعة، حيث اتخذ له ولأصحابه عريشًا، كان يؤمهم فيه، قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة.
(١٥٩)	أي مائة ذراع × مائة ذراع.
(١٦٠)	وقد تقدم الحديث عنه.
(١٦١)	يعني بصورته الأولى البسيطة: فضاء من الأرض، يحيط به حائط من البنيان لا يزيد على قامة الرجل، أساسه من الحجارة، وحيطانه من الطين، وفي ناحية منه أُقيمت ظلة من الجريد على قوائم من جذوع النخل كانت تسمى (الصفة)؛ وظلت أرض المسجد أرضًا على طبيعتها لم تفرش بشيء، حتى نزل المطر ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتي بالحصى في ثوبه، فيبسطه تحته ليصلي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «ما أحسن هذا البساط».
	ويروى أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبني المسجد قال: «ابنوا لي عريشًا كعريش موسى، ثمامات – عُشْب قد يصل طوله إلى متر ونصف – وخشبات وظُله كظلة موسى..» قالوا: وما ظلة موسى؟ قال: «كان إذا قام أصاب رأسه السقف» (راجع: صفحات من سيرة الرسول ﷺ في المدينة المنورة (من مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية) ص٢٠.

رقم الهامش	الموضـــــوع
(١٦٢)	اللبِن: الطوب النيء.
(١٦٣)	رهطًا: أي جماعة، على موضع أركان المسجد الأربعة، ليصحح بهم وضع القبلة.
(١٦٤)	الميزاب: المزراب، وهو: أنبوبة من الحديد ونحوه، تركب في جانب البيت من أعلاه، لينصرف منها ماء المطر المجتمع.
(١٦٥)	الظهر: الركوبة، ولا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والإبل، أو السيارة أو الدراجة، أو المشي، فقد خرج ذكر الظهر فخرج الغالب في ذلك.
(١٦٦)	فيه النهي عن الخروج من مسجده الشريف، بعد رفع الأذان، وقبل أداء الصلاة، إلا لضرورة.
(١٦٧)	تفل: بصق.
(١٦٨)	الخلُوق: ضرب من الطيب، أعظم أجزائه الزعفران.
(١٦٩)	إناء به بخور طيّب الرائحة (من العُود).
(١٧٠)	أي: لا يكفي أن يوزع عليهم منحة.
(١٧١)	أجمروا: بخّروا.
(١٧٢)	ما عَدوْت: ما تخلفت.
(١٧٣)	ذي الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة، وهو من مياه جُشم، بينهم وبين بني خفاجة من

رقم الهامش	الموضـــــوع
	عُقيل.
	وذو الحليفة أيضًا: الذي في حديث رافع بن خديج، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة من تهامة، فأصبنا نهب غنم»، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة، وليس بالمُهُد الذي قُرْب المدينة (ياقوت الحموي – معجم البلدان ج٢ ص٢٩٥).
	وسواء كان هذا الموضع أو ذاك، فالتشبيه صحيح، لأن المقصود: أنه مهما طال أو اتسع مسجده صلوات الله وسلامه عليه، فإن هذا الامتداد داخل في المسجد، وجزء منه.
(١٧٤)	الجالب إلى سوقنا: أي الذي يأتي إليه بائعًا أو مشتريًا، وكان سمحًا في ذلك.
(١٧٥)	المحتكر: الذي يجمع السّلع، فيحبسها، لينفرد بالتصرف فيها.
(١٧٦)	سورة الحج: الآية ٢٥.
(١٧٧)	الجذام: علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط.
(١٧٨)	تنعت من القرحة: أي تصف لمريض القرحة.
(١٧٩)	الضّبعة: الأرض التي يغطيها النبات (المقصود: أرض المدينة دون غيرها).
(١٨٠)	الصعيد: التراب، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣].
(١٨١)	بئر غرس: أحد آبار المدينة (وقد سبقت الإشارة إليه).

رقم الهامش	الموضـــــوع
(١٨٢)	قال ياقوت الحموي: وكان النبي ﷺ يستطيب ماءها، ويبارك فيـه، وقال لعلي بن أبي طالب ﷺ: «إذا أنا متّ فاغسلني من مـاء بئـر غرس، بسبع قرب». (راجع: ياقوت الحموي – معجم البلـدان ج٤ ص١٩٣).
(١٨٣)	المصراع: مصراع الباب: أحد جزأيه، وهما مصراعان: أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار. المناصع: البساط يتخذ من الجلد.

انتهت الهوامش

ولله الحمد والمنة


قطوف من التراث
الحجج المبينة
في التفضيل بين
مكة والمدينة
للإمام جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ
تحقيق
الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح
الحجج المبينة
Bibliotheca Alexandrina
06684371
الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد
ت، ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤ موبايل: ٠١٢٣١٧٧٥١٠